1113

١١١٣

دار م. النحاس

HARLEQUIN

عبير

روعة الصحراء

دنيز روبن

www.elromancia.com

مرمورية

زوعة الصحراء

دنيز روبن

تشكل الوان دمشق المشرقة خلفية هذه الرواية المثيرة لمؤلفتها دنيز روبن الشهيرة، تقوم المستفن فوريس الشابة الانكليزية [illegible] تعمل في القاهرة، سرعان ما تجد نفسها أثناء [illegible] في دوامة من الخطر و[illegible] العنيف.

[illegible] الكويت [illegible] فلس - البحرين [illegible] دينار - قطر ١٠ دراهم - السعودية ١٠ ريالات - الامارات ١٠ دراهم - الاردن ١,٥ دينار - المغرب ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس [illegible]

«أطلق سراحي حالاً.»

كان عليها ان تحدثه صراخاً للهرج والمرج الذي كان سائداً في الغرفة، وإذ بواحد منهم يقول فجأة بالفرنسية: «ماري... زوجتي، أسألك المعذرة... ان رجالي لم يدركوا من انت، لم اتوقع قدومك قبل الغد.»

نظرت اليكسا اليه حائرة دون ان تفهم شيئاً، فتنهدت قائلة بضعف: «انك مخطىء... انا...»

دنيز روبن

ولدت دنيز روبن وترعرت في تاسمانيا المحاطة بالغابات والجبال والبراري، لهذا كرهت المدن الكبرى. اول عمل قامت به هو التعليم وحين تزوجت تابعت دراستها لنيل الدكتوراه في الفلسفة واخذت تقرأ الروايات العاطفية للتسلية. ثم تحولت التسلية عندها لكتابة الروايات بنفسها مما زادها متعة وسعادة. متزوجة ولها ثلاثة اولاد تحب العمل في الحديقة والسير في الغابات وسماع الموسيقى.

١١١٣

عبير

Abir 1113

روعة الصحراء

دنيز روبن

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

بدا للسيدة فوربس وهي تعد مائدة الافطار لشخصين في هذا الصباح البارد من فصل الشتاء، ان غرفة الطعام واسعة وكذلك باردة، وكان هذا طبعاً لأنها وروبرت قد أصبحا يتناولان طعام الافطار وحدهما وذلك لأول مرة منذ ثلاثة وعشرين عاماً.

نظرت غريس فوربس إلى المائدة المصنوعة من خشب الماهوغانا وقد فرش جزءاً منها بغطاء صغير. المفروض الاقلال من غسل الأغطية والملاءات هذه الأيام، فهذه الأغطية الدمشقية القديمة والتي كانت قد آلت إليها من والدتها، كبيرة الحجم وتحتاج إلى الكثير من الغسيل والكي، كانت تتأمل في ذلك والحزن يملأ عينيها تتذكر كيف كانت هذه المائدة تبدو منذ ثلاث سنوات. كانت الأسرة كلها ما تزال في البيت، وأليكسا، ابنتها الكبرى كانت في المنزل كذلك، وكانت في التاسعة عشرة، ولكنها ما لبثت أن وجدت وظيفة حكومية وارسلت إلى بلاكبول، فلم يعودوا يرونها بعد ذلك إلا في اجازات قصيرة،ثم هنالك دايفيد ابنهما...كان دايفيد هو أيضاً ما يزال في البيت، في ذلك الحين،وكان ما يزال طالباً في كلية سانت بول.ولكنه الآن قد أصبح مجنداً في البحرية،دايفيد الذي كان منذ فترة قصيرة تلميذاً خجولاً،هو الآن في مكان ما خارج الوطن، يجوب البحار.انهم لم يرونه منذ أربعة أشهر، وكانوا

يأملون بقدومه في إجازة فهم في شوق كبير إليه.

ثم هناك التوأمان،بام وبينيلوب واللتان تذهبان إلى مدرسة نهارية،انها تعتبر نفسها محظوظة لأنهما ما زالتا معها.ولكن حتى هاتان غائبتان في عطلة آخر الأسبوع عند عمتهما ليل في ساسيكس، وكان العم ستيفن يدير مزرعة للدجاج،كان ستيفن وليل زوجين دون أولاد فأحبا التوأمين جداً.لشد ما البيت هادىء الآن،هادىء وكئيب دون أي من الأولاد. أخذت غريس فوربس تفكر في ذلك وهي ترتجف وتشد سترها الصوفية حول كتفيها. وعندما مرت بالمرآة وهي في طريقها إلى المطبخ، ألقت نظرة على صورتها فيها ثم عبست.

كانت امرأة نحيلة في الخامسة والأربعين وكان شعرها يوماً ما، ذهبياً كثاً كشعر ابنتها أليكسا، فأصبح الآن خفيفاً خطه الشيب. ان زوجها روب لا يريد ولا يستطيع ترك منزله الذي فيه أيضاً عيادته كونه طبيب أسنان. فأكثر الأسر هنا من زبائنه حيث يأتون بأولادهم إليه لتقويم نمو أسنانهم واصلاحها، والكبار الذي كانوا زبائن والده من قبله، فكيف يترك كل هذا؟

كانت غريس فوربس تحب زوجها وأولادها، وكان زوجها روبرت وعمله يأتيان في المرتبة الأولى، ومن ثم الأولاد ولكن في صباح كهذا، وليس في المنزل أحد من الأولاد، بدا الأمر حزيناً على غير العادة.

أخذت تتثاءب وهي تتجه نحو المطبخ حيث وضعت ابريق الشاي على النار، الأفضل أن تصنع طعام الافطار.

كان البرد قارساً، فهما في آخر اسبوع من تشرين الثاني

(نوفمبر)، وقد ازداد البرد الآن بعد أن ندر الفحم والوقود، ما جعلهما عاجزين عن اشعال سخان المياه، ان لديهم سخان كهربائي لأجل الاستحمام، وهو أكثر اقتصاداً من استعمال الوقود الغالي الثمن. تشعر في هذه الأيام بكثير من التعب، فهي تقوم بشؤون هذا المنزل الكبير وتجيب على الهاتف عندما لا تكون الآنسة مورغان سكرتيرة روبرت الجديدة، موجودة، فتقوم بكثير من الأعمال هنا وهناك بما لا يتناسب مع سنها، ثم هنالك التسوق حيث تقف في صف طويل أمام البقال أو للحصول على قطعة سمك للغداء. وكان التوأمان يتناولان غداءهما في المدرسة ما يشكل شيئاً من العون.

كانت غريس بحاجة إلى خادمة، وكم كان أسفها كبيراً عندما تركتها خادمتها. لقد كان على غريس أن تقوم بكل شيء الآن عدا التنظيف الذي كانت تقوم به امرأة تأتيهم يومياً بالساعة، وكانت السيدة ريتشارد سيدة طيبة لولا شكواها الدائمة من الروماتيزم الذي يمنعها من الانحناء مدة طويلة، ما الذي بإمكانها أن تفعل لو ان الخادمة توقفت عن الحضور؟

أسرعت لتصنع العجة، وهي تسمع روبرت يطفىء السخان الكهربائي، هذا يعني انه آت لتناول افطاره. فأول موعد لديه هو في التاسعة، مسكين روب فهو يجهد نفسه في العمل، كان يكبرها بعشر سنوات وقد أخذ يبدو هذه الأيام أكبر من سنه ومثقلاً بالهموم، الأمر الذي جعلها تشعر بالخوف عليه، ولكن هذا لم يفقدها بشاشتها الدائمة. كان شخصاً رائعاً، عزيزها روبرت هذا، فهي ما تزال مولعة به الآن كما كانت منذ ثلاث وعشرين سنة عندما كان شاباً وسيماً ذا ابتسامة رائعة ورثها عنه دايفيد وأليكسا..

ظلت غريس فوربس في مطبخها لبعض الوقت جاء اثناءها بائع الحليب إلى الباب الخلفي. وكانت صحيفة زوجها وصحيفتها هي، ملفوفتين معاً وموضوعتين على العتبة.

سمعته يهبط السلم، ويدخل غرفة الطعام حيث أشعل النور فأشرقت الغرفة ذات السجادة التركية والاثاث المصنوع من خشب الماهوغانا القاتم اللون كان لغريس ذوق عصري كانت أسبغته على غرفة أليكسا حين تركت هذه المدرسة، ولكن على المرء أن يستعمل الأشياء المتينة المفيدة التي تمنح له، فقد كلفت دراسة دايفيد الكثير لأنهم كانوا يريدونه أن يكون طبيب أسنان كوالده وجده، ولكنه ذهب إلى البحرية حالما ترك كلية سانت بول، فقد كان يعشق البحرية على الدوام.

في عطلته الأخيرة أمضوا جميعاً وقتاً طيباً مرحاً، وها هو ذا الآن في مكان ما من البحر الأبيض المتوسط كما يعتقدون، وكان قلب غريس فوربس يهلع على الدوام عندما تسمع الراديو يذيع نبأ عن سفينة غرقت أو غواصة تخلفت عن الصعود، وكانت نادراً ما تفصح عن مخاوفها تلك لروبرت.

صحيح أن أليكسا في وظيفتها هي أيضاً، ولكن البزة العسكرية لم تكن تروق لها، فقد كانت تدربت في مركز الدفاع المدني، وكانت أليكسا فتاة ذكية خصوصاً في الرياضيات، كوالدها، أما التوأمان فقد كانا يميلان إلى الفنون كوالدتهما، فكانت بام تعزف على البيانو بينما بينيلوب على الكمان، وما أجملهما وهما يعزفان معاً.

كانت أليكسا قد التحقت بمكتب حكومي في بلاكبول حيث

كانت تسكن عدد كبير من الفتيات، وكانت راضية تماماً، كما تقول إلا أنها تفضل لو كانت في البيت في بيكنهام، وكانت نشيطة محبة للاستطلاع كما كانت تحب الأسفار لترى الحياة، على حد قولها.

وضعت صحن العجة على المائدة، مع ابريق يحتوي على الشاي،

قال روبرت فوربس: «انه صباح بارد أليس كذلك يا عزيزتي؟» ثم أخذ يفرك يديه النحيلتين ببعضهما البعض.

ابتسمت وقالت متنهدة: «بارد إلى حد كبير، يا عزيزي، تناول طعامك قبل أن يبرد.»

«إنه يبدو شهياً تماماً، لقد تزوجت من امرأة تحسن الطبخ.»

عادت تبتسم بحب، كان ما يزال وسيماً للغاية. نظر روبرت إلى زوجته: «اجلسي يا عزيزتي، اجلسي وكلي شيئاً.»

«لا أريد أن آكل الكثير، هذا الصباح يا روبرت.»

«لماذا؟ هل فقدت شهيتك مرة أخرى؟»

أطلقت ضحكة قصيرة وأخذت قليلاً من المربى، ثم قالت: «انني بشوق إلى الأولاد، يا عزيزي هذا هو السبب.»

أوما برأسه وهو يتناول الطعام بشهية وقال: «المكان خال من دونهم، ألم تأت رسائل؟»

«كلا، انني أتوقع رسالة من أليكسا، فهي لم تكتب منذ فترة.»

«لماذا يا عزيزتي؟ لقد وصلت منها رسالة يوم الاثنين.»

فابتسمت زوجته بكآبة: «يبدو لي وكأن الوقت أطول من ذلك.»

أومأ برأسه قائلاً: «يا لك من والدة عاطفية، يا عزيزتي.»

«أظنني عجوز حمقاء بالنسبة للهفتي على الأولاد.»

«لا يمكن وصفك بالعجوز. انظري إلى نفسك في المرآة، ان لك قوام وبشرة فتاة. تبدين لي دوماً وكأنك شقيقة أليكسا الكبرى.»

أشرق وجهها وهي تقول: «يا لك من حبيب يا روب، وأنت أيضاً لا يمكن أن تبدو كوالد.»

تعالى رنين جرس الباب، فوقفت غريس بسرعة: «انه ساعي البريد يا روب، لقد جاءت الرسائل من الأولاد.»

كان لدى ساعي البريد أكثر من رسالة، من ضمنها برقية إلى د. روبرت ما جعل غريس تتراجع شاحبة الوجه، وقد شعرت بغصة في حلقها، لشد ما تكره منظر المغلف البرتقالي اللون، هذه الأيام... لو كان هذا بشأن دايفيد...

أخذت أصابعها ترتجف وهي تفتح البرقية، وسرعان ما عاد اللون إلى وجهها الرقيق. فشكرت ساعي البريد ثم اندفعت عائدة إلى غرفة الطعام: «روب، يا لها من مفاجأة، أليسكا ستكون هنا على الغداء، انها عائدة إلى البيت.»

«عائدة إلى البيت؟ ولكن لماذا؟»

«انها لا تذكر شيئاً، انظر...»

أخذ روبرت يقرأ البرقية: إلى البيت للغداء مفاجأة لكم تقبلوا حبي أليكسا.

«حسناً، حسناً انني أتساءل عما تكون هذه المفاجأة.»

«ربما ترقية. انها ذكية جداً...» أخذت غريس تقول ذلك ولكنها ما لبثت أن سكتت وقد احمر وجهها لخاطر مؤلم: «آه، غير ممكن...»

«ماذا يا عزيزتي؟»

«أرجو أن لا تكون مسافرة إلى خارج البلاد.»

«ولماذا تسافر؟»

«انك تعلم أن حديثاً كان قد دار بيننا، عندما كانت هنا آخر مرة، وذلك عن فتاة أو اثنتين ستسافران إلى مكتب حكومي وراء البحار. انهم يرسلونهن إلى الخارج، كما ان العديد من زميلات أليكسا قد سافرن، آه يا روب.»

نهض قائلاً: «لا تظني شيئاً قبل أن تعلمي الحقيقة، فقد لا يكون الأمر بهذا الشكل مطلقاً.»

قالت بقلق: «انني لا أريدها أن تسافر إلى الخارج، ما رأيك أنت؟»

بدا في عينيه التردد: «لا أدري يا عزيزتي. الخبرة ستكون رائعة، وأنت تعرفين كم تحب أليكسا السفر إلى الخارج ولكن...»

«ولكن دايفيد يجوب البحار... كل تلك الغواصات حوله...» وتهدج صوت غريس.

«خففي عنك يا عزيزتي. قد لا يكون الأمر أن أليكسا مسافرة إلى ما وراء البحار. انتظري إلى أن تحضر.»

استدركت ضاحكة: «انني غبية حقاً، ها ان جرس الباب يقرع، انه مريضك الأول.»

أسرع الدكتور روبرت إلى عيادته يرتدي مئزره الأبيض، بينما كانت زوجته تفتح الباب.

الفصل الثاني

«وهكذا ترين يا والدتي، لم أستطع الرفض وبعد، إنها فرصة الحياة، أليس كذلك؟»

اومأت غريس فوربس برأسها وقد غلبت على أمرها. لقد وقعت المصيبة وانتهى الأمر. ذلك أن أليكسا تطوعت لعمل وراء البحار، وهي الآن في إجازة سريعة في بيتها.

كان الدكتور فوربس في غرفة العيادة يعالج أسنان الدكتور دنسون الذي أوقف سيارته أمام بابهم. لكن السكرتيرة الآنسة مورغان كانت موجودة، وقد انتهى الغداء، ما تمكنت معه غريس من الجلوس والتحدث مع ابنتها.

كانت أليكسا مسافرة إلى ما وراء البحار. ابنتها الغالية التي كانت تلميذة ذات جسم ممتلىء وجدائل شقراء، تتلقى العلم مع دايفيد. ثم ما لبثت أن شبت ونمت وها هي ذي الآن، أنيقة جذابة للغاية في عين والدتها. كان بإمكان أليكسا أن تتم دراستها الجامعية بسهولة لولا ضيق حالتهم المادية، وهكذا اضطرت إلى أن تتخذ وجهة مختلفة. كان عليها أن تجتاز لذلك عدة امتحانات صعبة قبل أن تصبح مؤهلة لعملها الحالي.

قالت الوالدة: «أين سيكون مقرك يا أليكسا؟»

أجابت باسمة: «هس... يا والدتي، إنه سرّ حكومي، أظنني أعلم... ولكنني لا أستطيع أن أخبر أحداً حتى أنت.»

شحب وجه الوالدة: «آه...»

قالت أليكسا: «لا تحزني يا والدتي الحبيبة... سأكون بخير. سأمضي وقتاً مرحاً جداً، وأنا سعيدة للغاية. صدقيني أنني بدأت أملّ في بلاكبول.»

«ولكن في البحر أخطار كثيرة، يا عزيزتي.»

قاطعتها أليكسا ببشاشة: «وكذلك هنا في بيكنهام، صدقيني يا والدتي من الممكن أن أصاب بأي شيء هذه الليلة. ولكننا ننجو دوماً.»

تمتمت الوالدة: «أحقاً يا عزيزتي؟»

لم تكن تعلم شيئاً عن العمل الحكومي، كانت تكرهه... إنه شيء قاس جنوني... يأخذ منها أولادها واحداً بعد الآخر.

قالت الوالدة باستسلام: «حسناً يا حبيبتي، ليس عليّ إلا أن أعتاد على ذلك. وقد تذهبين إلى حيث دايفيد موجود. ما أجمل اجتماعكما إذا حدث.»

ابتسمت الفتاة: «لو حدث هذا، ستكون صدفة غريبة.»

«كم ستطول اجازتك هذه قبل الرحيل؟»

«من عشرة أيام إلى اسبوعين. لديّ الكثير من العمل وأشياء عليّ شراؤها.»

«ما هي هذه الأشياء؟»

«أشياء تصلح للبلدان الاستوائية، كما قيل لنا. انني ذاهبة مع فتاة تدعى دافن ميدواي. إنها تكبرني بعام واحد إنهم يختارون العازبات. هناك فتاة قد بلغ بها السأم حداً فظيعاً، وكان زوجها في الشرق الأوسط فكادت تموت من شوقها للذهاب.»

«هل سيكون مكانكم الشرق الأوسط؟»

«ربما.»

«يا لهذا التكتم والسرية، ما أفظع أن لا يعرف الانسان أين يذهب أولاده.»

انحنت أليكسا وقبلت وجنة والدتها: «لا تغضبي يا أمي، سأكون بخير. وستعلمين حال وصولي إذ سيكون بإمكاني ارسال برقية... من القاهرة على الأرجح... إنني أقول على الأرجح لأنهم لم يخبرونا شخصياً. ولكن دافن تعرف شخصاً يقول إنهم يريدون محاسبين في واحد أو اثنين من الفروع الحكومية في القاهرة. وبما انني محاسبة جيدة...» وتوقفت عن الكلام وهي تبتسم بغبطة.

حاولت الوالدة أن تبدو بمثل انشراح ابنتها: «سيكون في هذا خبرة كبيرة لك، أعلم هذا. وماذا عن هذه الملابس؟ يجب أن نذهب للتسوق.ان لدي ملابسي الصيفية... أفضل ثوبين قطنيين... وهما الأزرق والأخضر الباهت...»

أخذتا تتحدثان عن التسوق والخياطة، ولكن أليكسا لم تكن مهتمة حقاً بملابسها. فقد كانت شابة خيالية، وكان خيالها حالياً يذهب بها بعيداً. إنها تتصور نفسها بعيدة آلاف الأميال عن بيكنهام العزيزة الكئيبة... إلى مصر القاهرة، المدينة التاريخية التي يكثر فيها النخيل الأخضر، ذات النباتات والأزهار الغريبة. ستعمل في مكتب حكومي أشبه بالقصر، مكيّف الهواء رائع الأثاث، وتسير في أسواق قديمة غامضة حيث المواطنون ودودون للغاية، والفنادق الكبرى تعج بالنزلاء من كل الجنسيات، آه، يا للوقت الرائع الذي ستمضيه هناك.

قاطع صوت والدتها الرقيق تصوراتها البهيجة: «ستقابلين كل أنواع الرجال هناك. أليس كذلك يا

حبيبتي؟ إن للفتيات الجميلات وراء البحار حظوظاً جيدة... إنني أريدك أن تحصلي على حظ جيد... أفضل مما يحصل لك هنا ولكن إياك والتعجل بشيء...»

ضحكت أليكسا: «ليس أنا من تفعل ذلك، يا والدتي إن لدي عقلاً يفكر.»

قالت الوالدة باسمة: «هذا ما أنا واثقة منه.»

شبكت أليكسا يديها خلف رأسها وأخذت تنظر حولها. إنها غرفة الجلوس العزيزة المألوفة. هذه الغرفة فيها كل ذكريات طفولتها وصباها الباكر. فوق المدفأة علقت لوحة رائعة في اطار مذهب، كان رسمها صديق موهوب لوالدها. كان رسماً شرقياً تماماً حافلاً بالمشاعر، ولطالما خلب لب أليكسا لقد كانت أحب رسوم البيت إليها.

أخذت تفكر من أنها قريباً جداً ستكون في مكان كهذا.

ثم قالت والدتها: «نعم لقد كنت دوماً عقلانية بالنسبة إلى الفتيان يا عزيزتي.بالمناسبة،يجب أن تذهبي إلى السيدة أوليفار وتجعليها تخبر ديريك بذلك،وإلا فسيستاء جداً إذا...»

وألقت على ابنتها نظرة جانبية بعد ان ذكرت الاسم، متظاهرة بعدم المبالاة، ولكنها في أعماقها كانت دوماً ترجو أن تثمر الصداقة التي بين ابنتها وديريك أوليفر. فقد كان شاباً وسيماً من بلدهم، ذا سمعة حسنة اضافة إلى كونه مهندس ذكي. كان حالياً في الجيش... مع المهندسين. يكتب إلى أليكسا بانتظام وفي اجازته الأخيرة تكبد مشقة الذهاب إلى بلاكبول لرؤيتها. إن له مستقبلاً حسناً... والكولونيل أوليفر، المتقاعد من

الجيش الهندي يملك إيراداً خاصاً وأحد أحسن البيوت هنا. فهو سيكون صهراً حسناً.

لكنها لم تر استجابة في عيني ابنتها اللتين كانتا ما تزالان مسمرتين بسهوم على اللوحة... على شكل امرأة في ثوب أزرق تحمل على رأسها جرة ذات لون أحمر. وكانت تفكر، إنني ذاهبة إلى القاهرة... ولكن يوماً ما، سأذهب إلى هذه المنطقة... ثم أرغمت نفسها على الانتباه إلى ما كانت والدتها تقوله. ديريك... آه نعم، إن ديريك هو عزيز عليها وهي مخلصة له. ولكن لسوء الحظ عندما جاء إلى بلاكبول منذ أيام ليريها نفسه في بزة ضابط، أراها أيضاً ناحية جديدة من مشاعره نحوها... فقد طلب منها الزواج، ولكنها لم تتجاوب معه وهكذا تركته يذهب مصاباً بخيبة الأمل... مسكين ديريك.

قالت لوالدتها: «سأكتب إليه بنفسي، يا والدتي.»

تذكرت ذلك الموقف... وصوته الأبح وهو يقول لها: «إنني أحبك يا أليكسا. أريدك أن تتزوجيني قبل أن أسافر.»

شعرت بشيء من السعادة وهي ترى عواطفه المحترمة. ولكن هذا كان بتأثير وسامته وتألقه. كان عليها أن تقول انه لا يمكنها الزواج من أيّ رجل لا تشعر نحوه بحب عميق... هذه هي الكلمة التي كانت استعملتها عندما قالت له: «يا عزيزي ديريك... سامحني... ولكنني لا أشعر بالحب العميق الذي ينبغي أن أشعر به... عندما أتزوج.»

كان حينذاك حزيناً خائباً وقال: «إنك من البرود والاتزان يا أليكسا، ما يجعلني أتساءل عما إذا كنت ستصبحين يوماً ما، في حالة حب مع أي شخص.»

ولكنها كانت تعلم أن ما تريده سيتحقق... ثم قالت فجأة: «والدتي، لقد أحببت والدي بجنون عندما تعرفت إليه، أليس كذلك؟»

ضحكت الام وقالت: «ما الذي جعلك تطرحين هذا السؤال؟»

«أردت أن أعرف فقط.»

احمر وجه الأم الرقيق: «نعم، لقد كنت مجنونة به. كنا قد تعارفنا في حفلة يوم العيد. يا لوسامته حينذاك... كان مختلفاً عن كل الرجال الآخرين... كان في بزته العسكرية، عائداً لتوّه من فرنسا في إجازة... وهكذا...»

«وهكذا تحدّد مصيرك... يا والدتي العزيزة.»

فقالت الوالدة: «نعم، هذا ما حدث.»

وقفت أليكسا، وعيناها ما زالتا على اللوحة وقالت: «سيحدث هذا لي، يوماً ما.»

«أتمنى لك ذلك يا عزيزتي، من كل قلبي.»

أغمضت الفتاة عينيها وقد ساورها شعور غامض بأن الرجل الذي سيعني لها كل شيء في العالم... هو موجود هناك... في الشرق وهي ستتعرف إليه حتماً.

ضحكت مرة أخرى، ثم قالت: «هيا بنا، يا والدتي دعينا نذهب ونفرغ الخزائن لأرى ما لديّ من ملابس.»

في طريقهما إلى الطابق الأعلى، قالت الوالدة: «سيأتي التوأمان غداً. إنك تعلمين أنهما مقيمتان في ككفيلد.»

قالت أليكسا: «أتمنى لو كان لديّ الوقت لأذهب إلى هناك لرؤية عمي ستيفن وعمتي ليل.»

نظرت الوالدة إلى ابنتها بقلق: «أتظنين أنك سترحلين في خلال الأسبوعين القادمين؟»

«هذا ما يبدو، يا والدتي.»

«حسناً، هذا شيء مبهج لك يا ابنتي. فالحياة بطيئة خامدة في بيكنهام ولكن... أن تكوني أنت ودايفيد خارج الوطن... فهذا شيء غير معقول.»

كان أيضاً غير معقول، بالنسبة إلى أليكسا.

• • •

كان التوأمان قد عادا إلى البيت، فقد استقبلتهما أليكسا في محطة فيكتوريا ثم أحضرتهما إلى بيكنهام. كانا مثقلين بالهدايا... ألقيا بنفسيهما على شقيقتهما الكبرى وهما يهتفان بفرح ما لبث أن خمد إلى حد الاكتئاب عندما أخبرتهما عن سفرها الوشيك.

حملقت بينلوب فيها بعينيها الزرقاوين: «أتسافرين إلى ما وراء البحار؟ ما أفظع هذا، يا أليكسا.»

ضحكت أليكسا: «ولماذا هو فظيع؟»

«لأن هناك غواصات وقد تغرقين فلا تعودين أبداً.»

بينما عبست بام وقالت باكية: «كلا، يا أليكسا كلا؟»

وضعت أليكسا ذراعيها حولهما، كان لديها حب عميق لشقيقتيها اللتين تصغرانها بسنوات كثيرة، واللتين ساعدت والدتها في تربيتهما.

قالت: «لا تكونا غبيتين، طبعاً لن ينسفني طوربيد في البحر فيغرقني. أناس كثيرون يسافرون إلى الخارج.»

انفرجت أسارير بام: «هل ستذهبين إلى الصحراء يا أليكسا.»

فضحكت أليكسا: «ليس للعمل، قد أذهب إلى هناك في إجازة.»

في تلك الليلة، كان العشاء غير عادي، ونظرت الأم حول مائدتها... كل أسرتها موجودة الآن، ما عدا العزيز دايفيد... الضجة والثرثرة والوجوه الباسمة، كم تحب كل هذا. وكانت الوالدة تنظر إليها متأملة... كان شيئاً غير عادي بالنسبة إلى فتاة في سنها، أن تسافر إلى خارج الوطن لتقوم بوظيفة حكومية... كان شيئاً رائعاً حقاً.

وإذا كان روبرت فوربس قد تملكه الخوف على ابنته الكبرى الحبيبة، من هذا السفر إلا أنه لم يفصح عن خوفه هذا. فقد بقي على طبيعته المرحة الهازلة. وأتم الجميع السهرة بلعب ومرح في غرفة الجلوس إلى أن حان وقت نوم التوأمين وبعد ذلك جلست أليكسا تتحدث إلى والدها، تحدثا عن التصوير الفوتوغرافي، وكان أغلى ما تملكه أليكسا هو آلة تصوير، يجب أن تأخذها معها. وفيما بعد بعد أن نام الجميع، عادت الفتاة فأشعلت الضوء في غرفتها الصغيرة، ثم وقفت عند النافذة تنظر إلى البدر المكتمل. كان الليل صحواً بارداً.

يا له من قمر رائع، إنه نفسه الذي يضيء سماء القاهرة ولكنه هناك أكثر تألقاً.

ما أشد رغبتها في السفر إلى الشرق الأوسط، إنها تحب والديها وشقيقتيها التوأمين، وبيتهم الغالي ولكنها تريد من الحياة شيئاً آخر. وها هي ذي فرصتها الكبرى قد أقبلت الآن.

الفصل الثالث

رأى سائق السيارة ذات الثمانية مقاعد، والتي يقودها مرة في اليوم، رأى هذا الصباح بين ركابة فتاة انكليزية واربعة من رجال الاعمال الذين كانوا من سكان البلاد، ولكن هذه فتاة تسافر وحدها، ونظر اليها بفضول. كان الاسم الموجود عنده والذي دونته شركة السفريات التي يعمل لديها، هو السكندرا فوربس. كانت مثال السيدة الانكليزية، في نظره فهي شقراء نحيفة، ترتدي طقماً من الكتان ذا لون اخضر باهت، وعلى ذراعها معطف من الصوف، وقد تدلى من كتفها حقيبة من القماش السميك وآلة تصوير. وعلى عينيها نظارات شمسية قاتمة اخفت لونهما.

قال لها باسماً: «صباح الخير، يا آنسة فوربس... سامحيني... ارجوك... نعم؟ انا اعرف الاسم الكسندرا، انه مثل اسم زوجة الملك ادوارد، أليس كذلك؟»

ابتسمت اليكسا وأومأت برأسها ثم جلست على المقعد الذي اشار اليه، واكدت له انها ستكون في غاية الراحة هنا، ثم اجلس الركاب الآخرين. وسرعان ما ابتعدت السيارة شاقة طريقها خلال الشوارع الضيقة المتعرجة المسقوفة من أشعة الشمس.

تنهدت اليكسا بسعادة، يا لها من رحلة لن تنساها أبداً. كانت قد سمعت عن البلاد الجبلية، والوديان الخصبة على هذه الطريق، والتباين العجيب بين قمم الجبال المكسوة

بالثلوج والسهول التي تغطيها الأزهار، كل ذلك كان لا يضاهيه شيء. وفي منتصف الطريق سترى الصحراء، كانت هذه هي إجازتها التي طال شوقها اليها... شهر إجازة مرضية بعد سنة كاملة من العمل الشاق في مكتب حكومي في القاهرة... وعدة اسابيع في المستشفى تعاني من حالة تسمم في الدم.

لقد شفيت الآن تماماً ونالت هذه الإجازة الجميلة التي كانت تتطلع اليها وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، لم يترك اجهاد العمل ومرضها الحديث سوى القليل من التأثير عليها، لكنه لم ينقص شيئاً من حيويتها ونشاطها، وفي الواقع، لم تشعر اليكسا في حياتها ابداً بمثل ما تشعر به الآن من حيوية وحرص على ان تعيش حياتها كما ينبغي، وها هي تبدأ رحلتها.

كان امامها اسبوعان تمضيهما وحدها، وبعد ذلك تنضم اليها احب صديقاتها في القاهرة والتي تعمل ممرضة في احدى المستشفيات واسمها جوان داوسون، لم تحبذ جوان لأليكسا، وهي الاكبر سناً والأقل رغبة في المجازفة، لم تحبذ لها هذه الرحلة وحدها، ولكن اليكسا كان مستقلة الشخصية لا تخاف وواثقة تماماً من قدرتها على رعاية نفسها. لكنها عشقت المدينة، وصممت على الرجوع إلى تلك المدينة القديمة الساحرة والتي عشقت روعة لياليها، الأسواق الشرقية المليئة بأقمشة البروكار الخلابة والحرير والجلود والأواني النحاسية المنقوشة والعاج واللؤلؤ.

زادت سرعة السيارة بعد ان تجاوزت الضواحي.

شعرت اليكسا بالهواء اكثر برودة وانتعاشاً وهم

يتوغلون في المناطق الريفية حيث كانت تمتد امامهم حقول القمح والشعير الخضراء لأميال، وكانت اشجار المشمش والجوز الممتدة على جانبي الطريق مزهرة في أشعة الشمس، كان هذا اجمل ربيع شاهدته. وكانت قد سبق واخذت لها عدة صور فوتوغرافية بكاميرتها الصغيرة التي كان شقيقها دايفيد قد اهداها اليها.

فكرت اليكسا فجأة، ما اجمل ان تتزوج من شخص تحبه... ثم تأتي إلى مكان كهذا لقضاء شهر العسل...

ما لبثت ان ضحكت من نفسها، ذلك انها منذ قدومها من انكلترا إلى الشرق الأوسط اخذت تشعر وكأنها في انتظار شخص ما... لقد اخذت لأول مرة تشعر بشوق إلى الحب.. ولكنها سرعان ما تعود إلى الانطواء على نفسها، ومازال هذا الانتظار الغريب مستمراً.

لم يكد السائق يقطع خمسة وعشرين ميلاً بسيارته، حتى أوقفها وهو يهز كتفيه باستسلام وابلغ الركاب ان عطلاً طرأ على سيارته، وعليه ان يفحصها، خرج رجال الأعمال من السيارة واقترب منها احدثهم وحدثها بالفرنسية، كانت له عينان سوداوان وبشرة شاحبة.

سألها برقة: «اتحب الآنسة ان تتمشى قليلاً؟»

رفضت، واستدارت تتمشى قرب السائق، فالتفت هذا اليها ثم اشار بيديه وكأن مأساة المآسي قد انصبت عليه، ذلك ان عطل المحرك هو أسوأ مما كان يتصور.

نظرت اليكسا حولها، لقد تعلمت الصبر منذ قدومها إلى الشرق الأوسط، فهؤلاء القوم لا يحبون من يستعجلهم، في الحقيقة ليس ثمة اجمل من هذه السهول لانهيار الأعصاب،

كانت سلسلة جبال تمتد امامهم، وإلى اليمين امتدت صحراء ذهبية اللون. بينما إلى اليسار كان واد تغطيه غابات كثيفة، فيا له من منظر غريب متنوع.

قررت أليكسا ان تسير نحو الأشجار وقد تدلى من كتفها الحقيبة والكاميرا، اذا كانت ستمضي ساعة أو اكثر دون عمل، فعليها ان تلتقط بعض الصور، ولا تضيع وقتها كما يفعل الركاب الآخرون.

ناداها السائق: «لا تذهبي بعيداً يا آنسة من فضلك.»

ردّت عليه: «إلى أول الغابة فقط.»

لكنها عندما أصبحت هناك، جعلها حبها للاستكشاف تتوغل في الظلال لذلك الحزام من الأشجار الغريبة والتي لم تستطع معرفة اسمها. لم تدرك مبلغ حماقتها في ترك السيارة والركاب إلا حين جلست على فرع شجرة كان قد سقط، لكي تتأمل جمال الصحراء الذهبية الخارق التي كانت تلوح لها من خلال الأشجار الخضراء، واذا بها تجفل بعنف، ذلك ان شخصاً وضع يده على كتفها، قفزت من مكانها واذا بها ترى المسافر الفرنسي. لا بد انه جاء لاحقاً بها بخطوات خفيفة، وقف يحدق فيها بنظرات بعثت الرعب في قلب اليكسا، فقفزت واقفة وبادلته التحديق بصمت، تقدم اليها ضاحكاً وهو يقول شيئاً لم تفهمه، وشعرت بقلبها يخفق واخذت تفكر في انها معتوهة حقاً اذ لم تهتم عندما حذرتها جوان من شيء كهذا قد يحدث.

استدارت ثم هربت إلى داخل الغابة المعتمة، وسمعت صوت وقع اقدامه تسحق اوراق الشجر الجافة بينما كان يناديها كي تعود إلى السيارة، ولكنها اسرعت في ركضها

وهي تلهث، يجب ان تعود إلى السيارة... إلى الآخرين، وذلك بأن تخادع الرجل هذا، فتنعطف عائدة إلى أشعة الشمس والمنطقة المكشوفة حيث يمكنها ان ترى السيارة.

لسوء حظ اليكسا، أرغمها مطاردها على ان تزيد من توغلها في الغابة، أخيراً توقفت وهي تلهث، وشعرت بالارتياح بعد ان لم تعد تسمع وقع اقدام تطاردها لكنها أدركت انها قد تاهت في الغابة.

اخذت على الفور تقتفي آثار اقدامها لكنها وبينما فعلت ذلك، تذكرت ما حدث لها مرة في حداثتها لقد كانت في الريف مع دايفيد والعمة ليل عندما تاهت مرة في الغابة. لقد حاولت حينذاك ان تجد مخرجاً ولكنها لم تفعل سوى ان اخذت تسير في دوائر، وهذا ما يحدث للمرء في غابة مجهولة لديه... اذ يظل يدور... ويدور...

ما افظع ما سيكون عليه الأمر هنا... في غابة غريبة منعزلة تحيط بالطريق، ويا له من أمر مخيف... ان يتكرر ما حدث في طفولتها... من دون شقيقها دايفيد... من دون امل ان يفتش عنها أحد ويكتشفها، فالسائق قد لا يتمكن من ترك سيارته للبحث عنها، ذلك لأن ركابه سيطلبون منه مواصلة المسير، فهم سيهزون اكتافهم قائلين ان الفتاة الانكليزية قد جنّت واكملت طريقها سيراً على الاقدام.

ازدحمت مثل هذه الافكار المفزعة في ذهن اليكسا، وهي تتابع السير، مشت... ومشت... ومشت إلى ان تقرحت قدماها ولم تعد تستطيع السير من شدة الارهاق والحرارة، وبلغ منها الخوف اشده الآن بعد ان اكتشفت انها تسير في دوائر وهذا يعني انها لن تجد مخرجاً من هذه الغابة ابداً.

اخيراً، بعد ان استنفدت كل قواها تقريباً واخذت دموع اليأس تجري على وجنتيها، اذا بها ترى خيطاً من الذهب... انها أشعة الشمس... اخيراً، لا بد انها وصلت إلى اطراف الغابة، اخذت تتقدم متعثرة وقد تجددت قواها وهكذا برزت إلى ارض مكشوفة... إلى الحرارة اللاهبة والنور الباهر الذي ملأها شكراً، ولكنها ما لبثت ان ادركت انها الآن بعيدة عن النقطة التي دخلت منها إلى الغابة. لم يكن هناك طريق ولا سيارة امامها، ولكن بناءً كبيراً فقط يواجهها، وقد يمكن تسميته قصراً صغيراً... ولمحت اليكسا من خلال بوابة من الحديد المشبك أزهاراً وفيرة حول نافورة ماء.

بدا واضحاً لها، وهي تقف هناك تمسح دموعها، انها خرجت من الجهة الأخرى للغابة، فهي لا ترى أي اثر للسيارة، كما انها لم تعرف هذه البقعة من الريف، لقد كان المنزل الأبيض مبنياً في بقعة منعزلة، حسناً، لم يكن هناك ما تفعله الآن سوى التقدم نحو هذا المنزل طالبة العون وارشادها إلى الطريق العام، واذ نظرت إلى ساعة معصمها، راعها ان ترى انها تاهت في الغابة مدة ساعة ونصف، وساورها الشك في ان السيارة ما زالت هناك... لم تصلح بعد.

فتحت البوابة الحديدية ودخلت منها إلى الفناء، حتى في قمة ما تشعر به من ألم وارهاق، لم تستطع إلا ان تقف لتهتف سروراً إزاء جمال الفناء المرصوف بالفسيفساء، والنافورة الرخامية الرائعة التي تحدق بها اشجار الليمون، والباب ذو القنطرة المزخرفة التي تقود إلى الداخل، كان المكان جميلاً... بارداً... منعشاً ولكنها لم تر أحداً.

استيقظت فيها طبيعة المصورة الفوتوغرافية تبدد

مخاوفها وتعبها، على أي حال، لا شيء يمكن ان يخيفها الآن، وهكذا اخرجت الكاميرا، ثم رفعتها إلى عينيها، وفي ثوان معدودة كان الفناء قد امتلأ برجال غريبي المظهر ملتهبي الأعين، كان منظرهم رائعاً، ولكن الذعر عاد يملأ نفس اليكسا مرة أخرى وساورها الخوف من ان تكون قد اطمأنت إلى هذا المكان اكثر مما ينبغي. ولوت أيدٍ خشنة ذراعيها إلى الخلف مصادرة الكاميرا منها، وصرخت فيها اكثر من عشرة اصوات خشنة بكلمات غير مفهومة، ولوّح واحد منهم بسكين...عند ذلك شهقت اليكسا:لا تلمسوني... دعوني اذهب لم اسبب لكم أي ضرر...»

لم يجب احد، ودفعوها من خلال اقرب باب من المنزل إلى غرفة فسيحة باردة تمتلىء بأثاث مطعم بالعاج وفي منتصف الغرفة منضدة وقف بجانبها رجل فارع القامة. دُفعت اليكسا نحوه، ففكرت في انه ربما هو صاحب المنزل.

نظر اليها برصانة فقالت:«دعهم يطلقون...سراحي...حالاً...»

كان عليها ان تحدثه صراخاً للهرج والمرج الذي كان سائداً في الغرفة، فقد كان وكأن كل رجل يصرخ . وكأنهم جميعاً حانقون عليها، واذا بواحد منهم يقول فجأة: «ماري... عزيزتي الصغيرة ماري، اسألك المعذرة... ان رجالي لم يدركوا من انت، لم اتوقع قدومك قبل الغد.»

نظرت اليسكا اليه حائرة دون ان تفهم شيئاً، ورأت عينيه السوداوين المتألقتين تحدقان فيها، فتنهدت قائلة بضعف: «انني... انك مخطىء... أنا... أنا...»

لم تكمل، فقد زاد في ذعرها وهولها ان المتكلم باللغة

الفرنسية امسك بيدها بينما صدرت عن الرجال همهمات الاستحسان.

تابع الرجل يقول: «يا زوجتي... يا زوجتي الجميلة.»

جن جنونها... هذا غير ممكن.

حاولت مقاومته، ولكنها لم تستطع ووجدت نفسها تجر إلى غرفة أخرى.

ثم قال: «انتظريني هنا، من فضلك...»

نظرت إليه وهي تشهق، يبدو رجلاً مهذباً مثقفاً، وحاولت ان تقول شيئاً، ولكنه كان قد خرج وتركها وحدها.

كانت الكيسا ترتجف من الخوف، لقد المّ بها الإرهاق من هربها الجنوني إلى داخل الغابة، ثم ما يحصل لها الآن.

جلست على حافة الأريكة الواسعة، ثم اخذت تفكر في ما عليها فعله، حاولت ان تطمئن نفسها إلى انها في عصر متحضر الآن، وانها هي موظفة حكومية في إجازة ومنذ ساعات قليلة فقط كانت في فندق عصري متمدن، لكن مثل هذه التأملات فشلت في التخفيف عنها، لأنها تعلم انها هنا في منزل مليء برجال اشداء وان سيدهم رغم ما يبدو عليه من تهذيب، يدعي امام رجاله انها زوجته...

وقعت نظراتها على منضدة عليها إناء يحتوي على فاكهة، وصحن عليه شوكة وسكين، فاستجمعت قوتها ثم أمسكت بالسكين الحاد لتدافع عن نفسها... وتعطي ذلك الرجل الوقح درساً لن ينساه في حياته، انه مخطىء اذ يظنها من اولئك الشابات الضعيفات الواهنات اللاتي يغمى عليهن من الخوف، تلك الصفات لا بأس بها في الافلام السينمائية، ولكن ليس بالنسبة إلى اليكسا.

وقفت بجانب الباب الذي خرج منه لتوه، كانت ما تزال تشعر بالخوف يملأ قلبها، في تلك اللحظة تصورت فجأة منزلها في انكلترا. ذلك المنزل القديم الطراز القائم في بيكنهام حيث والدها على رأس مائدة الافطار يقرأ صحيفته وهي يدلي بتعليقاته المعتادة، بينما والدتها مشغولة، باعداد التوأمين للذهاب إلى المدرسة... والجميع ينتظرون ساعي البريد، متشوقين إلى خبر من دايفيد... وإلى رسائل منها كذلك. لقد افتقدوها... كانت تعرف ذلك وتفتقدهم هي أيضاً.

ما الذي كانوا سيقولونه لو انهم رأوها في هذا الوضع، ممسكة بسكين فاكهة لكي تحمي نفسها...

وإذا بالقلق يكسو وجهها وهي ترى الستائر تنفرج ويبدو منها صاحب هذا المنزل الفخم، وعلى الفور، اندفعت اليكسا نحوه بضراوة، كان هجوماً مباغتاً لم يكن الرجل مستعداً له، وظهرت على وجهه النحيل الأسمر امارات الدهشة. امسك بيد اليكسا ووخزت السكين الصغيرة وجنته محدثة شرخاً مستطيلاً قرب شتفيه، فصرخ متألماً.

وقفت اليكسا بثبات وهي تنظر اليه بعينين ملتهبتين، لكن ثباتها تززع قليلاً وهي ترى الدم يلطخ وجهه. وبينما رفع هو يده إلى الجرح، قالت هي بلهجة واضحة حازمة: «سأعيد الكرة... اذا ما اقتربت مني.»

وملأها رده دهشة إذ قال: «يا آنسة انك تبالغين في تقدير جمالك، ذلك ان ليس لديّ اقل رغبة في الاقتراب منك.»

حدّقت اليه والسكين في يدها، فقالت متلعثمة: «ولكنك... دعوتني زوجتك... امام اولئك الرجال...»

اخرج من جيبه منديلاً اخذ يمسح به الدم وهو يقول: «لن اكرر ما قلته لك وما فعلته. انني اؤكد لك هذا، يا آنسة.»

حدقت اليه دون ان تفهم شيئاً: «لقد دعوتني ماري ثم...»

«لقد كان هذا أول اسم تبادر إلى ذهني.»

ارخت يدها المرتجفة اتي كانت تمسك بالسكين. «انا... ماذا يعني هذا كله؟ هل انت... فرنسي... ام ماذا؟»

أجاب: «هذا أمر لا يهمك اكثر مما كان يهمني عندما امسكتك ودللتك امام رجالي.»

«لماذا إذن...»

قاطعها: «لأنك اخترت الظهور في منزلي اثناء اجتماع لنا في غاية السرية والأهمية، ومعك كاميرا... كنت تصورين فناء منزلي... ولو لم اخترع تلك القصة بانك زوجتي وقد فاجأتني بزيارة غير متوقعة، ربما كانوا قطعوك إرباً، انهم ما كانوا ليرحموك، والآن ارجو ان تكوني قد فهمت.»

كانت ردة الفعل لدى اليكسا، من العنف، بحيث كان شعورها أسوأ مما كان حين دفعها إلى القيام بذلك العمل البطولي للدفاع عن نفسها، لقد شعرت بأنها تافهة وسخيفة، ولم تستطع ان تفهم من يكون هذا الرجل أو سبب هذا كله... ولم تشعر برغبة في السؤال فالاجتماع السري لم يكن يهمها، فقد كانت على شفا الانهيار. وعاد هو يقول: «من أين أنت؟»

دون ان ترفع عينيها، شرحت له سبب وجودها هنا، وقال الرجل: «فهمت. حسناً جداً.سنعيدك حالما أرتب الأمر، والآن أرجو المعذرة إذ عليّ ان أوقف هذا النزيف، ان السكين كان حاداً، يا آنسة.»

عند ذلك رفعت اليكسا نظرها إليه ثم شهقت قائلة: «انني آسفة جداً...»

نظر اليها بعينيه السوداوين اللامعتين نظرة باردة... تماثل صوته، وكادت تشعر انه يسخر منها.

«لا لوم لذلك... يا آنسة، اجلسي من فضلك وسأرسل اليك طعاماً وشراباً، عن اذنك.»

بعد ان انحنى لها بشيء من السخرية كما خيل اليها، وما زال ضاغطاً على الجرح بالمنديل، خرج من الغرفة.

جلست متثاقلة على حافة الأريكة، والآن بعد ان ثبت ان مخاوفها لا اساس لها، لم تعرف هل تضحك أم تبكي، كانت مشوشة الذهن تماماً، فصدى كلماته ما زالت تتردد في اذنها وهو يقول: «زوجتي..» ثم تشامخه البارد... وسخريته مما كان مفروضاً ان يكون شجاعة منها.

اخذت ترتجف بصمت سرعان ما اخذت تذرف الدموع.

كانت ما تزال تبكي قليلاً عندما عاد ذلك الرجل، صاحب هذا المنزل الغامض، كان النزيف في وجهه قد توقف وشعرت بالخجل من فعلتها.

قال: «آسف لعدم تمكني من البقاء هنا للاحتفاء بك، ان لديّ عملاً، ستكون سيارة بانتظارك لتقلك إلى حيث تشائين بعد ساعة، وذلك بعد ان تكوني قد اكلت واسترحت، وأنا لا اريدك أو اريد أي شخص آخر أن يعود إلى منزلي مرة أخرى.»

هتفت تقول: «ليس لدي رغبة في العودة... أؤكد لك هذا.»

«اذن، فهذا يرضينا نحن الاثنان، سأقول لك وداعاً.»

قالت بصوت متهدج: «الوداع.»

اشتبكت نظراته الثاقبة بنظرتها، فشعرت بالخجل، لماذا؟ لماذا تتذكر كيف امسك بها؟ ان عدم اهتمامها به يماثل عدم اهتمامه بها كما يبدو.

ثم عاد فمنحها انحناءة ساخرة أخرى، وخرج. عندها دخل الغرفة خادم حاملاً صينية عليها وجبة رائعة طهيت على الطريقة الفرنسية، وإبريق ماء، فأكلت اليكسا وشربت بشهية بالغة، لقد حاولت ان لا تفكر في غموض هذا المنزل وبذلك الرجل الذي يتكلم الفرنسية، كان كل ما تريده هو الابتعاد عن هذا المكان... فليحتفظ ذلك الرجل السخيف بمزله وبرجاله، فكل هذا لا يهمها.

بعد ساعة، حسب وعده، كانت تقاد نفس المكان الذي كانت قد سارت فيه السيارة كان هناك الغابة من بعيد... في مكان ما، خلال تلك الغابة، كان يقوم ذلك المنزل الغامض، ولكنها كانت واثقة من انها لن تعثر على هذا المنزل مرة أخرى حتى ولو بقيت أياماً تطوف أنحاء الغابة.

عندما اصبحت في السيارة، طلبت من السائق ان يعيدها الى الفندق،فقد تملكها اكتئاب وارهاق شديدين بعد مغامرتها تلك، فهي لن تشعر بأي تسلية في الطواف في الشوارع هذا اليوم، والافضل لها ان تعود إلى الفندق لترتاح، كانت الكاميرا قد اعيدت اليها، ولكنها لاحظت، فيما بعد، ان الفيلم قد صودر منها، لم يكن مسموحاً لها ان تسحب تلك الصور التي التقطتها لذلك المنزل الغامض.

عندما اصبحت في الفندق مرة أخرى، شعرت بالحاجة إلى الاستحمام والنوم اكثر من أي شيء آخر في العالم،

وقبل ذلك ابلغت موظف الاستقبال ان يتصل هاتفياً بمكتب السيارات ويخبر السائق الذي كانت شرعت في الرحلة معه بان يعيد اليها حقيبتها، ثم صعدت إلى غرفتها.

كان بناء الفندق عصرياً ضخماً،وكانت غرفة اليكسا باردة حسنة التهوئة، استحمت ثم جلست على السرير شاعرة بصداع شديد، لشد ما هي متعبة منهكة، ولكنها عندما اغمضت عينيها اذا بالنوم يجافيها، كان امام عينيها وجه أسمر مترفع...

لكنها كانت تعلم بانها لن تنسى ذلك في حياتها، ولا تلك المحاولة السخيفة لحماية نفسها من رجل كان عمله وكلامه مجرد تمثيل لأجل حمايتها، لماذا... لماذا لا تريد ان تحدث احداً عما حدث معها، حتى ولا لجوان صديقتها.

عندما اقبل الصباح، لم تشعر اليكسا برغبة في الذهاب إلى اي مكان، ولسبب غير معروف شعرت بنشاطها قد نقص وكل حماستها لهذه الإجازة قد همدت، لم تستطع ان تزيل ما حدث لها من ذهنها، واخذت تجول في أنحاء الفندق دون هدف... فتنظر قلقة، إلى كل رجل من طبقة عالية يدخل الفندق... متسائلة عما اذا كانت ستراه، حقاً، ان عليها ان تستعيد بهجتها التي فارقتها موقتاً.

سرت تقريباً إذ ابعدها عن كل هذه الافكار اتصال هاتفي غير متوقع عند الظهر من صديقة لوالدتها تعيش في المنطقة هي السيدة ويرل وكانت زوجة السيد بيرسي ويرل الذي كان من كبار الشخصيات المهمة. وفكرت اليكسا في ان والدتها لا بد كتبت إلى ماري ويرل واخبرتها بأن اليكسا في إجازة مرضية.

كانت السيدة ويرل بالغة اللطف وهي تدعو اليكسا لتناول الشاي عندها في فيلتها الجميلة.

قالت لها: «سأرسل سيارتي لأجلك يا عزيزتي، ولا اظنك ستشعرين بالسأم... فلديّ بعض الضيوف الشبان ومن ضمنهم شاب خلاب للغاية هو بليك لاغام وانا واثقة من انه سيعجبك.»

شكرت اليكسا السيدة ويرل بأدب، ثم اقفلت السماعة وهي تفكر باكتئاب في ان نفسيتها ليست في حالة تطيق معها احد، ولكن ربما ستجد في تلك الحفلة ما يلهيها عن هذا الشعور السخيف بالقنوط والكآبة التي تشعر بها.

• • •

ذهبت إلى فيلا السيدة ويرل في الساعة الرابعة.

كان يوماً بالغ الجمال، وقادها غلام يرتدي سترة بيضاء إلى غرفة جلوس جميلة مستطيلة الشكل تزدحم بالمدعوين. شيء واحد تبادر إلى ذهن أليكسا في اللحظات الأولى من حفلة شاي السيدة ويرل. وهو الطابع الانكليزي فيها.

قالت السيدة ويرل. وهي سيدة أنيقة للغاية:«إنني شاكرة لك حضورك. إنك صورة حية لوالدتك، ياعزيزتي، لم أكن أعلم أن لغريس فتاة جميلة مثلك. وآخر مرة رأيتك فيها في لندن كنت فتاة صغيرة فوق أسنانك طوق معدني وعلى عينيك نظارات.»

ابتسمت أليكاسا:«لقد استطعت أن أتخلص من الاثنين ياسيدة ويرل.»

نظرت السيدة ويرل حولها في غرفة الجلوس المكتظة، وهي تقول: «لقد كنت وعدت بليك لاغام بتقديمه إلى أجمل فتاة هنا. ثمة حفلة ستقام ليلة السبت وأنا أعرف أنه يريد مرافقة. وأنت مناسبة له تماماً. تعالي معي...»

سارت السيدة ويرل، ويدها بيد أليكسا، إلى آخر الغرفة حيث تطل النوافذ على الفناء الرائع الطراز، حيث النافورة وأشجار البرتقال والأزهار الرائعة.

وانتظرت أليكسا بينما صديقة والدتها تربت على كتف رجل طويل القامة يرتدي بذلة رمادية من الصوف الناعم. وكان يتحدث إلى امرأة جميلة ترتدي ثوباً أبيض.

قالت السيدة ويرل: «بليك، كفى كلاماً مع سيبيل فهي متزوجة، وزوجها هو أفضل رجل في الشرق الأوسط في الرماية. تعرف إلى هذه الفتاة.»

بدأت أليكسا تقول بارتباك: «إنني بكل أسف، لست...» وإذا بها تجمد في مكانها.

لقد استدار الرجل الطويل القامة إليها، وإذا بها ترى وجهاً نحيلاً ذا لون أسمر قاتم، كان مألوفاً لديها تماماً، ابتسم لها ولكن أليكسا لم تبادله الابتسام. لقد بقيت تحدق إليه بذهول وإلى الجرح الصغير على وجهه.

كان هذا الرجل صاحب المنزل الغامض . إنها هي التي أحدثت ذلك الجرح في وجهه. أتراها جنّت؟ أم أنه ليس هو ذلك الرجل؟ ولكن لا بد أنه هو. الشكل... العينان... الجرح... كان الفارق الوحيد هو الملابس... والرأس من دون قبعة. إنه يتكلم الآن. ليس باللغة الفرنسية كما ظنت ولكن بانكليزية جيدة جداً وصوت انكليزي بحت.

قال وهو يمد إليها يده: «كيف حالك؟»

قالت السيدة ويرل: «دعيني أقدمك يا عزيزتي أليكسا إلى بليك لاغام. لقد كان في اكسفورد مع ابني جيوفري. لا أظنك تعرفين جيوفري. هذه الكسندر فوربس يا بليك، وهي ابنة صديقة لي، وهي في اجازة. انتبه لها الآن وقدم لها بعضاً من ذلك الآيس كريم اللذيذ.»

مسكت السيدة ويرل بيد المرأة ذات الثوب الأبيض وابتعدت عنهما للاحتفاء بضيوفها.

وقف الرجل والفتاة يحدق الواحد منهما في الآخر. وكان بليك لاغام ما يزال يبتسم: «تفضلي بالجلوس، هل تريدين ما تسميه السيدة بالآيس كريم اللذيذ؟»

لم تستطع أليكسا الجواب، فأضاف يقول: «إن السيدة امرأة عزيزة عليّ... وهي دوماً، في حفلات الشاي التي تقيمها، تعدني بفتاة جميلة، ونادراً ما تنفذ وعدها. لكن، هذه المرة نجحت في ذلك. ولا أستطيع أن أخبرك كم أحببت اسمك هذا الكسندرا. إنه غير عادي.»

تابعت أليكسا تنظر إليه بعينين حائرتين. لم تستطع سوى أن تحدق به وبالجرح في وجهه.

أخيراً قالت متعلثمة: «أنت... أنت ذلك الرجل... ظننتك فرنسياً... إنني... ماذا يعني هذا كله؟»

استمر في الابتسام، ولكنه رفع حاجبيه بدهشة: «لا أظنني أفهم تماماً ما تقولين.»

«بل أنت تفهم، إنك تعلم... أنت هو الرجل في ذلك المنزل... أمس... وأنا... التي فعلت هذا.» وأشارت إلى الجرح في وجهه.

ازداد دهشة، ما جعل يقينها يزداد في أنه هو نفسه ذلك الرجل، بينما كان يقول: «ماذا؟ أتعنين الجرح؟ يا للغرابة... لقد أحدثت أنا هذا عندما كنت أحلق ذقني هذا الصباح، وذلك بموسى مرهفة. ثم، ما هذا الكلام كله عن أمس؟ إننا لم نتقابل مطلقاً من قبل، يا آنسة فوربس.»

قالت بثبات وقد أخذ قلبها يخفق: «بل تقابلنا وأنت تعلم ذلك... يا سيد.»

فألقى برأسه إلى الخلف ضاحكاً وكأنها اطلقت نكتة: «يا فتاتي العزيزة، لماذا كلمة سيد هذه؟»

«إنك تعلم. وأمس دعوتني بالآنسة... إنك صاحب ذلك البيت الغريب في الصحراء، لا يمكنك إنكار ذلك.»

سكت بليك للحظة، فأمسكت أنفاسها وقد ازداد خفقان قلبها. أتراه سيعترف؟ ثم عاد يضحك قائلاً: «يا عزيزتي السكندرا فوربس... هل من عادتك أن تخطئي في التعرف على هويات الآخرين، أم أنني مزدوج الشخصية؟ عليك اخباري بالمزيد عن ذلك الرجل الغامض الذي دعاك بالآنسة ذلك الرجل الذي يتكلم الفرنسية، إنك تثيرين فضولي.»

تنهدت أليكسا بعمق وقالت بصوت أقل ثقة من السابق: «و... ولكنني واثقة... من أنك وهو شخص واحد، إنكما متماثلان تماماً... وذلك الجرح...»

«آه، هذا الجرح الخطير الذي أحدثته أثناء الحلاقة؟»

وبدا الاهتمام والمرح على وجهه الوسيم: «أترى صديقك قد جرح نفسه هو أيضاً؟»

فقالت بخشونة: «كلا. أنا أحدثته له بنفسي...»

«هذا شيء مثير، يا عزيزتي. تعالي وحدثيني عن كل ذلك.»

سارت معه بين الجمع، وقد تملكها الذهول، ماذا يعني هذا؟ لا بد أنه نفس الشخص... ولكنه ليس هو... إن دهشته لما تقوله تبدو صادقة. وعيناه الثاقبتان تسخران منها... لم تستطع إلا وأن تعترف بأن لا شبه في التصرفات والصوت بين هذا الرجل والآخر الذي يتكلم الفرنسية، صاحب المنزل الغامض كما مقتضباً في كلامه إلى حد الفظاظة...ولكن هذا الشاب يبدو خالي البال، وانكليزياً مائة بالمائة. ماذا يعني هذا كله؟ وكيف حدث أن حصل لهما هما الاثنين نفس الجرح في نفس المكان، إلا إذا...

«والآن تفضلي بالجلوس واخبريني بكل قصتك بينما تأكلين الآيس كريم.»

جلست أليكسا على الأريكة، ثم رفعت بصرها إلى بليك لاغام قائلة: «لا أريد آيس كريم، أشكرك. أريد فقط فنجان شاي.»

ابتسم لها بمرح: «إن شاي السيدة ماري طيب المذاق إلى درجة غير معقولة.»

صفق بيديه، فتقدم إليه غلام يرتدي سترة بيضاء، فأمره بليك باحضار فنجانين من الشاي.

قالت: «هل لديك مانع من أن تخبرني عما إذا كنت في السلك الديبلوماسي... أم أنك جندي في اجازة.»

أجاب: «إنني أعمل في كل شيء... ولكنني لست بالرجل الذي ذكرته.» قال ذلك بسرعة، مازحاً. فاحمرت وجنتا أليكسا. لقد كانت واثقة من أنه هو نفسه.

تابع قائلاً: «فلندع الحديث عن نفسي، قصتك هي التي تثير الفضول. هذه الفيلا الغامضة والجرح... لقد جرحت وجه الرجل، أليس كذلك؟ ولكن كيف... ولماذا؟»

استندت أليكسا إلى الخلف وأخذت تفكر هل تخبره بما كان لها أم لا؟

قال يستحثها: «هيا، يا آنسة فوربس... أرجوك.»

«لا أظنني أريد أن أخبرك عن قصتي، يا سيد لاغام.»

قال ضاحكاً بمرح: «الآنسة فوربس... السيد لاغام... يا للرسميات المتكلفة. إنني شغفت بإسم الكسندرا هل تأذنين لي باستعماله، يا آنسة؟»

كان يسخر منها الآن فقالت بشيء من الغضب: «بكل تأكيد... ادعني بما شئت. إنهم يسمونني أليكسا في البيت.»

«وأين هو بيتك؟»

«في بيكنهام... إقليم كنت... يا سيد لاغام.»

«ان اسمي هو بليك وأنا لن أدعوك أليكسا إذ من المؤسف اختصار اسمك الجميل الكسندرا.»

كان يجرها من حيث لا تدري، إلى التبسط معه في الحديث. وسرعان ما أدركت أن بليك لاغام هو أستاذ في تجنب المواضيع الجادة ومناقشة المواضيع السطحية. واضح جداً أنه يعمل في السلك الديبلوماسي، فهو ينفذ من كل موضوع وبكل سهولة. أرادت أن توقع به بطرح الأسئلة عليه، وإذا به هو الذي يحقق معها فيسألها: «كم مضى عليك من الوقت هنا؟»

«لقد جئت من الوطن منذ عام، إنني أعمل في وظيفة رسمية في القاهرة.»

«هل تحبينها؟»

«لقد تدربت على هذه الوظيفة، وحالفني الحظ في السفر خارج الوطن. إنني مولعة بالشرق...»

فنفض الرماد عن سيكارته ما جعلها تلحظ خاتم في إصبعه عليه نقش لم تستطع تمييزه.

قال لها: «هل ذهبت مرة إلى نادي الضباط الفرنسيين هناك؟ إنك تشعرين فيه وكأنك في باريس.»

نفت قائلة: «كلا، لقد كنت في طريقي إلى ... عندما...»

سكتت، فقال يستحثها: «نعم، عندما ماذا؟»

قالت تنهي كلامها: «عندما صادفت ذلك الرجل مثيلك.»

كان الغلام قد أحضر صينية الشاي في هذه الأثناء ووضعها على منضدة أمامهما. فقال لها بليك: «هل لك أن تسكبيه؟»

انها شابة عملية قوية العزيمة جاءت من الوطن لتقوم بعمل شاق. وما كانت لتحصل على ذلك العمل في القاهرة لو لم تكن كفئاً لذلك وقد ادرك انه يفضل ذوات الكفاءة على المرأة المتألقة ظاهرياً. كانت هناك امرأة أو اثنتان في حياته احداهما في لندن، كانت فرانسيز متألقة للغاية ولكنها غبية بعض الشيء. وقد اهتم بها لوقت طويل. وكانت من سنه، في الثامنة والعشرين، كما كانت أرملة. كان والده بالغ الثراء، قد اكتسب معظم ثروته من البترول. وعندما ترك جامعة اوكسفورد، ورث ثروة لا بأس بها من عمه السيد آرثر غيرلينغ. ومن ثم انخرط في أعمال والده.

كان على وشك الزواج من فرانسيز. ولكن شيئاً حمله على التيقظ والحذر، وأخيراً فرقت بينهما الحرب. لو كان

تزوجها لأرهقته بمطالبها وإسرافها وهذا ما لم يكن يرغب فيه. لم يشأ أن يتزوج اطلاقاً في ذلك الحين. وخصوصاً حين اندلعت الحرب. فقد شهد الكثير من مآسي الحياة الزوجية بين أصدقائه.

«أريد أن أعرف المزيد عن شبيهي ذاك، هل قدم إليك آيس كريم؟»

أجابت ببرود: «كلا.»

«لا بد أنه ضايقك وإلا لم جرحته في وجهه، هل كان ذلك دفاعاً عن النفس؟»

مرة أخرى يتصاعد الدم إلى وجهها. ولكن عينيها كانتا عاصفتين. كانت غاضبة في داخلها، لقد تشوشت الأمور في ذهنها بحيث لم تعرف ما تقوله لهذا الانكليزي والذي ينظر إليها بمزيج من المودة والسخرية. وفجأة، نظرت إلى صينية الشاي حيث كان يوجد طبق صغير يحتوي على بعض قطع الحلوى بجانب صحنين وسكينين فضيين صغيرين. أمسكت، دون وعي منها، بواحد منهما بشكل دفاعي تقريباً، وقالت: «نعم. كان ذلك دفاعاً عن النفس، وقد فعلت ذلك بسكين تشبه هذه، فأحدثت في وجهه جرحاً مثل هذا تماماً...» وأشارت إلى الجرح الذي في وجهه الأسمر.

حملق فيها ببراءة خالصة: «إنك تحيرينني، يا الكسندرا. لا بد أنك كنت في حالة ما... بحيث لجأت إلى جرح رجل بهذا الشكل. هل نجحت في اخافة ذلك الرجل المسكين، حينذاك؟»

رفعت فنجان الشاي ترشف منه. كانت أصابعها ترتجف ما جعلها تريق شيئاً من الشاي على ثوبها. وعلى الفور،

سحب بليك منديلاً من جيبه قدمه إليها، وهو يقول: «آه، ثوبك الجميل هذا.»

شعرت أليكسا بالسخط، فوضعت فنجان الشاي من يدها وأخذت تمسح الشاي عن ثوبها بالمنديل، وهي تقول حانقة: «هذا لا يهم.»

وأخيراً قال برقة زائدة: «الكسندرا، هل تظنين حقاً أنني أنا هو ذلك الرجل، وأنك جرحت وجهي؟» كان يتكلم الآن بصوت جاد تماماً.

بقيت صامتة للحظة، لم تكن تعرف، كما لا تستطيع أن تقسم على ذلك، فقد كان الأمر كله يبدو لها خيالياً. لماذا قد يمتلك بليك لاغام منزلاً غامضاً؟ هل من الممكن أن تكون مخطئة؟

وعاد هو يقول: «الكسندرا، لماذا لا تخبريني بكل شيء عن ذلك؟ فأنا أراك قلقة تماماً لهذا الأمر.»

أوشكت أن تكشف له عن القصة بأجمعها، ولكن ثمة شيء منعها من ذلك. قد يكون بليك لاغام جاسوساً فتكون هي الشخص الوحيد الذي اكتشفه. وطبعاً، قد يكون هذا الظن لا أساس له. كل الفتيات في المكاتب تلقين محاضرات عن الأمن ووجوب الحذر من زلات اللسان، فالشرق الأوسط مليء برجال من كل اقطار الأرض.

عاد بليك يقول للمرة الثالثة: «الكسندرا، إلى أين شردت بفكرك؟ ألا تتنازلين بالعودة إلى الحديث معي؟»

عند ذلك قررت أن لا تعود إلى الحديث في هذا الموضوع. إنها ستتصرف مثله، فهو يحب المرور بالأمور بسطحية، وهذا ما ستفعله هي.

قالت بمرح: «أنا آسفة، لقد كنت مستغرقة في أفكاري. والآن، في الحقيقة يا سيد لاغام... آسفة يا بليك، إذا كنت تفضل ذلك، في الحقيقة ليس لدي قصة لأخبرك بها.»

فقال باسماً: «يا لك من معتوهة سارّة للغاية.»

فبادلته ابتسامته بشفتين مرتجفتين، وسألته: «أحب أن أعرف نوع العمل الذي تزاوله.»

فقال: «أشياء متعددة. وظيفة حكومية كوظيفتك كما أقوم برحلات جوية كثيرة... وأمضي هنا أوقاتاً معينة، وكذلك في القاهرة، والاسكندرية وأنا حالياً في اجازة فأنا بحاجة إلى الراحة.»

نظرت إليه بإمعان: «لا أراك متعباً جداً.»

«هذا ليس لطيفاً منك، فأنا منهك تماماً.»

ثم حول موضوع الحديث بسرعة إليها مرة أخرى يسألها: «كم من الوقت ستمضين هنا؟»

أخبرته أنها في اجازة مرضية وأنها بانتظار أن تلحق بها صديقتها جوان داوسون.

فقال: «إنكما ستمضيان وقتاً طيباً.»

ضحكت قائلة: «هذا غير صحيح.»

رفع حاجبيه: «أليس لديك شاب رائع يرسل إليك رسائل.»

«كلا.»

فهز رأسه غير مصدق: «لا بد أن الرجال عميان.»

عادت تضحك: «كم أنت سخيف.» وتملكها الاضطراب فهي ما زالت لا تعلم من هو وما عمله لكنها مصممة على معرفة ذلك. شعرت بالسرور وكذلك بالأسف حين جاءت مضيفتهما إليهما لتضع حداً لحديثهما هذا.

قالت السيدة ويرل: «بليك، الجنرال مورغان هيسلوب يريدك بكلمة. إنني آسفة لقطع استمتاعك بالحفلة.»

وقف بليك وأليكسا، وقال: «ما هذا؟ أتحضرين إليّ أحسن فتاة في العالم ثم بعد ذلك تجرينني بعيداً.»

فقالت المرأة باسمة: «لا يمكنك أن تقول لا للجنرال.» ثم نظرت إلى أليكسا وتابعت: «هل أعجبت بليك؟ كنت أعلم ذلك، فأنت فتاة غاية في الجمال.»

قال بليك: «يجب أن أراك مرة أخرى، يا الكسندرا وبالمناسبة، قبل أن أذهب، أتظنين بإمكانك أن تعطيني موعداً؟ لقد قالت السيدة انه من واجبي حضور الحفلة ليلة السبت. وأنا أتمنى لو تقبلين دعوتي إليها، ويمكننا أن نتناول العشاء هناك.»

ترددت أليكسا، ولكن السيدة تدخلت قائلة: «هذه فكرة رائعة، طبعاً عليك أن تذهبي يا أليكسا، إنك ستستمتعين جداً هناك. وأنا واثق بأن بليك سيعتني بك.»

ابتسم لها بخبث: «لا تقولي لها كلاماً كهذا فترفض المجيء، يا ماري. ألا تعرفين طبع النساء؟ إنهن يكرهن الخروج مع رجل محط ثقة الجميع.»

قال هذا وسار مبتعداً، بينما تملك أليكسا الذهول، في الحقيقة، منذ اللحظة التي قابلته فيها. وقالت السيدة: «إنه جذاب جداً، أليس كذلك؟ ولكن خلف كل ذلك المزاح والمرح يكمن شخص يستحق الثقة إلى أقصى حد.»

فقالت أليكسا ببطء: «إنه محير نوعاً ما.»

«إنه يحب إغاظة الآخرين وهذا هو سر روعته، فالانسان لا يعرف أبداً ما في ذهنه.»

«هل تعرفينه جيداً، يا سيدة ويرل؟»

«ألم أخبرك أنه كان يدرس في اكسفورد مع ابني. إن جيوفري يحبه كثيراً، وقد التحق جيوفري بالجيش بينما تابع بليك عمل والده، إنهم أثرياء جداً... إنه البترول... كما تعلمين.»

فقالت أليكسا بشيء من التزمت: «أليس من المفروض أن يكون في الجيش.»

«التحق بالجيش على الفور، ولكن الحكومه استدعته للعودة من الجيش إلى الحياة المدنية لأجل عمل خاص. إنني لا أعرف مطلقاً ماذا يعمل ولا أظن زوجي يعلم أيضاً.»

عادت الشكوك إلى أليكسا. هنالك غموض يتعلق ببليك لاغام. وزاد تصميمها على أن تدع عينيها وأذنيها مفتوحة. إنها لا تثق به. ودفعها شيء ما إلى الاصرار على استجواب السيدة ويرل: «هل جاء السيد بليك لاغام إلى هنا لتوه؟»

«نعم، الليلة الماضية، إن معظم أعماله في القاهرة في السفارة. هناك أعمال كثيرة غريبة هذه الأيام يا عزيزتي، لا يستطيع أحد أن يضع لها اسماً. والآن، تعالي ودعيني أعرّفك إلى ذلك الفتى الجميل الواقف هناك. إنه في إجازة.»

وجدت أليكسا نفسها تتعرف إلى الكابتن بلهام، والذي كان ضابطاً أشقر طويل القامة ذا شعر جعد وذا تصرفات خجول نوعاً ما. كان جون بلهام قد وصل لتوه بالطائرة من نيروبي، وكان مقيماً في كينيا وهو يريد العودة إلى هناك ليقوم بالزراعة. وأخذ يحدث أليكسا عن كينيا، فاستمعت إليه بأدب ولكن نظراتها كانت تجول في أنحاء القاعة إلى

أن وجدت بليك لاغام مرة أخرى. كان يتحدث إلى رجل ضخم الجسم على صدره أوسمة كثيرة. إنه الجنرال. وكان بليك يبدو جاداً مصغياً بانتباه، لقد أثار فضولها حقاً. وحاولت أن تركز أفكارها على حديث الكابتن بلهام، ولكن عقلها كان ما يزال مشغولاً ببليك... وشبيهه. إن آخر كلمات السيدة قد أكدت شكوكها. إذا كان بليك قد وصل أمس من السفر، فهو لا يمكن أن يكون في ذلك المنزل الغامض في الصحراء. ربما كانت هي مخطئة تماماً. واغتنم الكابتن بلهام فرصة تعرفه إلى هذه الفتاة الانكليزية الشقراء، ليطلب منها موعداً.

«ماذا بالنسبة للعشاء هذه الليلة، إذا لم تكوني مشغولة؟»

قالت ببطء: «نعم، إنني لست مشغولة أبداً. وهذا لطف كبير منك.»

ولما لا تذهب، فليس لديها شيء آخر تفعله ولا أحد لتتكلم معه قبل مجيء جوان. وسيكون من الغباء أن ترفض، ولكن ليلة السبت هي التي تتطلع إليها... حيث حفلة العشاء مع بليك.

الفصل الرابع

في الصباح التالي كانت اليكسا ما تزال نائمة عندما أيقظها رنين الهاتف، تناولت السماعة: «ألو.»

جاءها صوت رجل مألوف لديها: «صباح الخير يا الكسندرا هل انت مستيقظة؟»

دهشت للسرور الذي تملكها إذ أدركت انه صوت بليك.

لقد تناولت العشاء الليلة الماضية وأمضت بقية الحفلة مع جون بلهام ووجدته مرافقاً ساراً. ولكنها طوال السهرة كانت مشتتة البال، وهي الآن لا تشعر أبداً بأنها تريد رؤية الكابتن بلهام مرة أخرى بينما هو يريد ذلك.

قالت: «آه، مرحباً يا بليك.»

«هل ايقظتك؟»

«نعم، ولكنني تأخرت في النوم جداً.»

«اظنك اذن قد تأخرت في السهرة.»

«نعم.»

فقال معاتباً: «الكسندرا... الكسندرا، اتحطمين قلب ضابط شاب في إجازته؟»

«لا تكن سخيفاً.»

«انني سخيف بطبيعتي.»

قالت: «هل تريدني لشيء ما؟»

«كنت اريد ان اسألك إذا لم تكوني مشغولة، فتتناولي العشاء معي هذه الليلة.»

قالت بصراحة: «انني آسفة جداً، ولكنني كنت وعدت... اعني انني خارجة مع شخص آخر.»

«يا لك من فتاة قاسية، أخبريه ان لديك زكاماً أو ان شعرك الذهبي قد استحال اسود أثناء الليل، فربما ما يريده هو الخروج مع فتاة شقراء.»

أخذت تضحك، وهل تملك سوى ذلك مع هذا الرجل...؟ ولكن هذه كلها أشياء سطحية طبعاً... فهي تعرف انها لا تثق به.

قال بليك بمرح: «الكسندرا، يجب ان تلغي الموعد مع ذلك الرجل، هل هو من اصدقائي.»

«اسمه جون بلهام وهو في الجيش.»

«لا اعرفه، وهذا يجعلني لا اهتم إذا انا خطفتك منه.»

«لا يمكنك ذلك، لقد سبق ودعاني للخروج معه بينما انت لم تفعل، يجب ان اذهب معه.»

«هذا منطقي، ولكنك لم تمنحيني الفرصة، انت خرجت من الحفلة بينما انا كنت ما ازال اتحدث مع الجنرال، ومنذ ذلك الحين وأنا مشغول البال، انني لن أمكث طويلاً في هذا البلد، فلدي عمل في الخارج الأسبوع القادم، وهذا ما يحدث لي هذه الأيام. فأنا انتقل من مكان لآخر على الدوام، انني اعيش في الطائرات وبين حقائب السفر. انني رجل تعيس، وعليك ان تكوني لطيفة رقيقة معي أثناء إجازتي.»

ترددت، فقد اخذ ذهنها يفكر في اقواله تلك، ان شكوكها في كونه ذلك الرجل سخيفة حقاً، فالشخص قد يكون له شبيه حتى بالنسبة إلى أثر جرح، كان هذا واضحاً من اقواله وكذلك مما كانت السيدة ماري قد اخبرتها به عنه وهو ان لديه وظيفة كبرى وان كل شخص ذي أهمية يعرفه.

جاءها صوته: «ألو، إلى أين شردت؟ أرجوك لا تقولي انك استغرقت في افكارك في مثل هذه الساعة من الصباح.»

«كلا، كنت افكر فقط.»

«المرأة التي هي بجمالك لا يحسن بها التفكير كثيراً، فانا لا احب المرأة المفكرة، والآن قولي بانك ستتخلين عن ذلك الكابتن.»

قالت بلهجتها المتكلفة: «انه لطف منك ان تدعوني، ولكنني لا ألغي موعداً أبداً.»

«انك إذن تفضلين تحطيم قلبي.»

«نعم، اذا كان تحطيمه سهلاً بهذا الشكل.»

«يا لك من قاسية، لا بأس سأبحث عن مرافق آخر.»

شعرت اليكسا بقلبها يغوص، وتمنت لو انها لم تقبل دعوة الكابتن جون بلهام لهذه الليلة.

«اليكسا، انني لن ابحث عن فتاة أخرى، بل سأجلس وحدي انتظر الموت المبكر.»

«كم اتمنى لو انك لست بهذا الغباء.»

«حسناً، افرضي ان وفاتي جاءت مبكرة قبل حفلة العشاء ما يمنعني من الوفاء بموعدي معك؟»

اخذت تضحك مرة أخرى: «آه، سيكون هناك شخص آخر يأخذني إلى الحفلة.»

«الكسندرا، ان لك قلباً من حجر، لم يبق لي إذن سوى التأسف.»

«يا لك من ضعيف الشخصية!»

«تماماً، ولكنني اقترح ان تأتي لتناول الغداء معي، وقد نذهب بعد ذلك للتسوق، انني احب كثيراً ان أرى كيف تباع

هنا الأشياء الشرقية للفتيات الجميلات.»

«اذا كنت شهماً حقيقة، فيجب ان تمنع الفتيات المسكينات من الوقوع في مثل ذلك.»

«اعدك بأن اكون شهماً معك اذا انت قبلت دعوتي، يا الكسندرا.»

فقالت: «سأفعل، إذن.»

وعندما وضعت السماعة أسرعت لترتدي ملابسها.

جاء ليأخذها في منتصف النهار، فتناولا الغداء على شرفة الفندق. وبعد الغداء خرجا يتمشيان في الأسواق.

قال بمرح: «الكلاب المجنونة فقط هم الذين يخرجون في شمس الظهيرة، هل انت واثقة من انك لا تحتاجين إلى قيلولة بعد الظهر؟»

أجابت: «نعم، واثقة تماماً.»

«إذن، فهذا سيكون انتقامي منك، سأنهكك بالسير إلى ان تصبحي من التعب بحيث لا تذهبين إلى السهرة.»

«يا لطبيعتك الحقود هذه.»

لمعت عيناه بالضحك: «انك لا تعرفينني، انني مليء بالفضائل الخفية.»

«احياناً اظن فيك عكس ذلك... وهو انك مليء بالخداع.»

«ماذا؟ اتعنين ان لدي حياة مزدوجة؟ أما زلت تفكرين بذلك الرجل الذي يتكلم الفرنسية يا عزيزتي؟»

اجابت بخشونة: «نعم.»

كانت اليكسا تبتهج دوماً بالسير في هذه الشوارع التاريخية القديمة، حيث المتاجر المفتوحة تعج بالأشياء الملونة والتحف الشرقية.

اهتزت لجمال الأقمشة المقصبة والمطرزة بمختلف الألوان، كان هنا حلي من كل نوع، عقود من اللؤلؤ، واساور ودبابيس من الذهب، سجاد عجمي. ومن بعض الحوانيت الصغيرة كانت تعبق رائحة القهوة.

تمتم بليك: «كل هذا يوحي بليالي ألف ليلة وليلة، أليس كذلك؟ انظري إلى هذه الأشياء... قد تكون في الواقع اثرية، وقد تكون صنعت أمس في هولندا مثلاً...»

التقط بعض الحلى الرخيصة، وابتسم له البائع العجوز وهو يقول: «انها جميلة جداً... رخيصة جداً... اشترها للسيدة... سيدي...»

ابتسم بليك لأليكسا: «ايمكنني ان اقدم اليك بعض هذه الحلى؟»

«انه لطف منك، ولكن كلا، شكراً...»

اخذ يقلب في كومة الحلى الزائفة ثم التقط خلخالاً فضياً وقال: «وهذه؟»

نظرت اليه بعينين متألقتين: «لا... شكراً لك.»

ضحك وترك الخلخال، وفجأة رأت اليكسا خاتماً ضخماً فبدت في عينيها نظرة غريبة. فاخرجته تريه لمرافقها: «ألا يناسب هذا يدك؟»

لم تتبدل ملامحه وقال بمرح: «سيبدو جميلاً جداً، ولكن...»

«جربه.»

فجأة قال بليك: «دعينا نتابع السير اذا كنا لا نريد شراء شيء.»

لكن شيئاً لم تعرف كنهه، ربما هو مكر أو شيء

جعلها تلاحق الموضوع. فأمسكت بيد بليك اليسرى وادخلت الخاتم الأزرق في الاصبع الثالث من يده اليسرى، ثم امالته نحو الضوء: «ما رأيك؟»

ابتسم، ولكن خيل إلى اليكسا بشكل ما، ان ابتسامته تلك لم تكن عفوية كالعادة، ثم سرعان ما اتبعها بعبوس سريع. وحاول ان يخلص معصمه من يدها الصغيرة القوية، وهو يقول: «لا استطيع القول انه اعجبني... انني لا البس خواتم من هذا النوع، يا فتاتي العزيزة.»

سألته ببراءة: «كلا؟»

لكن أليكسا كانت تحدق في اليد السمراء وبالخاتم الأزرق، وقلبها يخفق بعنف، انها واثقة، واثقة الآن من يد بليك لاغام هي نفس يد ذلك الرجل الذي شدّها من يدها، وفجأة قالت له بفرنسية متلعثمة: «لقد كنت انت... أليس كذلك يا سيد، في ذلك المنزل...؟»

اجابها بالانكليزية بلهجة بطيئة: «الكسندرا عزيزتي، الا ترين ان هذه المزحة قد زادت قليلاً عن حدها؟»

همت بان تجيبه، عندما تقدم نحوه رجل طويل القامة من بين الواقفين ثم اشار بشيء من الإثارة إلى الخاتم في اصبع بليك، ثم رفع يده بالتحية وتكلم بلغة غريبة لم تفهمها.

حبست اليكسا انفاسها في انتظار ان ترى ما سيفعله بليك، لم يلتفت إلى الرجل ولم يجبه بشيء، ولكنه نزع الخاتم من اصبعه واعاده إلى حيث كان، ثم امسك بذراع كسا يقودها بعيداً عن الجمع. صاح الرجل في أثره انما لهجة متوعدة أو كما خيل إلى اليكسا، فعادت إليها ة السابقة في هذا الرجل.

لم يتكلم إلا بعد ان اصبحا خارج الزقاق، عند ذلك توقف يمسح وجهه، ثم قال فجأة: «ان الشمس حارقة.»

قالت: «نعم...» ثم اضافت: «يبدو ان ذلك الرجل يعرفك.»

«دون شك، ولكنني لا اعرفه.»

«ألا تعرفه؟»

«كلا...» وسكت، ثم نظر إليها، فبادلته النظر بثبات.

قالت: «اتريد ان تتابع السير إلى الفندق؟ افعل اذا شئت، فأنا اريد العودة إلى ذلك الحانوت.»

سألها بلهجة اقرب إلى الحدة: «لماذا؟»

«لدي مشكلة في ذهني اريد ان اجد لها حلاً... انها تتعلق بما حدث لي مع ذلك الرجل الذي يتكلم الفرنسية، فهو كان يرتدي ملابس تشبه تلك التي يرتديها ذلك الرجل الذي تحدث اليك. آه، انني اعلم ان لا دخل لك في هذا الأمر، يا بليك ولكن قد يكون بامكانه ان يخبرني ببعض الأشياء التي اريد ان اعرفها، فإلى اللقاء اذن مساء الغد في الحفلة واشكرك لدعوة الغداء هذه.»

لم يبادلها الابتسام، كان الغضب الآن بادياً عليه من دون شك، فأمسك بذراعها، قائلاً: «لا تكوني فتاة حمقاء فهؤلاء الناس قد يخبرونك بأي شيء، فإذا كانت هناك مشكلة حقيقية، فانا ساحاول مساعدتك في حلها، ولكن لا تعودي إلى السوق.»

قالت بعناد: «بل ساذهب، فأنا واثقة من ان ذلك الرجل سيوضح لي الأمر، بينما انت لن تتمكن من ذلك، إلى اللقاء مرة أخرى.

استدارت مبتعدة عنه، بينما وقف هو يحدق فيها وفي

عينيه نظرة حائرة بشكل غريب، وما لبث ان صدرت عنه إشارة حانقة، ثم لحق بها.

لم تمض سوى دقيقة واحدة قبل ان تدرك أليكسا ان بليك كان خلفها. عند ذلك استدارت وهي تسأله: «انك اذن ستساعدني على حل هذا اللغز؟»

«يا فتاتي العزيزة، انني اعرف هذه البلاد، ومن الواضح انك شابة صغيرة السن لا تخافين، ولكن اذا كان لي ان اقول هذا، فان الحذر ينقصك إلى درجة كبيرة، إذ ليس من الحكمة بالنسبة لفتاة انكليزية شقراء ان تضيع بين هذه الطرق القديمة.»

«فهمت، انك قادم إذن لكي تحميني؟»

«بالتأكيد.»

رفعت حاجبيها: «حسناً، هذا جميل جداً منك.» كانا قد اقتربا من الزقاق الذي كان البائع العجوز فيه قد عرض عليهما الحلى الزائفة فاخذت اليكسا تفتش بنظراتها بين ذلك الحشد من الرجال والنساء وفجأة ادركت مبلغ حماقتها، فالرجل الطويل القامة والذي كان قد خاطب بليك بكل حماسة، وهي واثقة من ان ذلك كان بسبب رؤيته لذلك الخاتم في اصبعه، قد اختفى منذ وقت طويل. وهكذا استدارت إليه تقول: «انتصرت، دعنا نعود إلى الفندق.»

نظر اليها ببراءة كانت قد اعتادت عليها: «لكن يا عزيزتي الكسندرا، لماذا اكون المنتصر؟ اترانا تشاجرنا على شيء؟»

اجابت: «لا أدري، في الواقع.»

عاد إلى الشارع الرئيسي فقال بشيء من المودة: «شيء

مضحك، فانت قد جعلت نفسك شكوكة جداً بالنسبة إلى ذلك الرجل الغامض، كما انك لم تخبريني بكامل القصة، لهذا لا يمكنني المساعدة وهكذا سأبقى بمثل حيرتك تجاه ذلك.»

لم تجب ولكن فكرها كان يعمل بنشاط، انه يبدو جاهلاً حقاً بكل ذلك ولم يتكلم كثيراً حتى وصلا إلى الفندق، وقد اصبحت طباعه مرحة.

«لم يكن تسوقنا ناجحاً، فقد افسده ذلك الرجل السخيف الذي اخذ يوجه إليّ كلاماً لم افهمه بينما كنت اريد ان اشتري لك هدية.»

شعرت أليكسا بالخجل: «ليس ثمة سبب يجعلك تقدم إلي هدية.»

ضحك قائلاً: «هيا، ان مما يجلب السأم ان نفتش عن سبب لكل ما نفعله. ساخذك معي لنتناول شيئاً من المرطبات وذلك لسبب هام جداً وهو انني ظمآن، ولا بد انك انت كذلك، فالحر كان شديدا في الشوارع.»

اومأت قائلة: «موافقة.»

وهكذا جلسا معاً على شرفة الفندق واحتسيا عصير البرتقال وهما يتفرجان على المارة. كانت أليكسا تجلس مستمتعة بحديث بليك المرح، وبعد لحظات كانت قد نسيت مشاكلها واستسلمت لمتعة حقيقية دامت ساعات مع هذا الرجل الرائع رغم كونه يشغل البال.

استدرجها إلى اخباره كل شيء عن نفسها تقريباً، واستمع اليها باهتمام وبدا لها صادقاً، كان بليك لاغام، في الواقع، مهتماً جداً بهذه الفتاة الشابة، فقد كانت مختلفة كلياً عن فرانسيز... المرأة التي فكر مرة في الزواج منها.

فرانسيز التي كان زوجها جيرالد الدوين زميلاً لبليك في اكسفورد، لقد كان هو وجيوفري ويرل وبليك ثلاثة لا يفترقون في تلك الأيام الذهبية في الجامعة، وقد كانوا جميعا يعرفون فرانسيز، فقد اعتادت ان تأتي في كل مناسبة، أو حفلة فتكسف كل فتاة أخرى بجمالها.

في ذلك الحين، لم يكن بليك يهتم بالنساء بشكل خاص، ومع انه علم ان فرانسيز تميل اليه قليلاً، الا انه لم يشأ ان يرتبط بامرأة حال خروجه من الجامعة، وهكذا كان جيرالد هو الذي ظفر بفرانسيز في النهاية... السيد جيرالد الدوين. وكان بليك هو شاهد الزواج.

وبعد ذلك لم يرها كثيراً، فقد كان العروسان يمضيان وقتهما بين بلده في اقليم باكينغهام شاير، وبين منزلهما الصغير الجميل في لندن. اما بليك فقد اتخذ عمل والده والذي كان يحتاج إلى السفر الدائم خارج البلد وكان هذا ما يريده حقاً.

عندما عاد إلى انكلترا، وجد ان جيرالد الدوين قد توفي في حادث اطلاق نار، كما قيل له، وعندما رأى فرانسيز مرة أخرى كانت جميلة كما كانت على الدوام واعتقد بأنه يرغب في الزواج منها. وفي ذلك الحين كانت احواله المادية قد اصبحت جيدة واصبح لديه ما يقدمه إلى زوجة، عند ذلك سمع من جيوفري وبعض الآخرين بعض الحقائق عن زواج فرانسيز من جيرالد، عن الحياة الفظيعة التي عاشها الفتى المسكين، من جشعها البالغ للمال، والقسوة التي تكمن خلف جمالها الوديع ذاك.

اكتشف مع الوقت مبلغ غبائها الذي يفوق الوصف. فهي

دون معرفة ولا ذوق، ما عدا في الملابس، ودون أي مزايا روحية حسنة، وطبعاً دون أي أثر للقيم، لقد صدم فجأة وهو يكتشف انه لم يحبها قط ولا يريدها ان تكون والدة لأولاده. ففكر بالالتحاق بالجيش، فقط للهرب من فرانسيز، وكانت هذه هي النهاية البشعة لمعرفته بها.

وهكذا كان جديداً عليه ان يجد امرأة تتمتع بنفس مزايا اليكسا، كانت نقيضا لفرانسيز، فهي تتميز بالبساطة والنزاهة، كما انها مجدة في عملها، فهي بهاتين اليدين الصغرتين، تقوم بعمل متواصل، انها تتحدث بفخر عن بيتها البسيط في بيكنهام، انه يرى الحب يشع من عينيها وهي تصف والديها وشقيقتيها التوأمين بام وبينيلوب.. ودايفيد، الشقيق الذكي.

كانت ذات رأي سديد ولكنها في نفس الوقت كانت ذات عناد، ما بعث التسلية في نفسه.

قال لها أثناء الحديث: «انك فتاة منتعشة، يا الكسندرا.»

فسألته: «من أي ناحية؟»

اجاب بمرح: «فلندع هذا، ولكنك تبعثين الانتعاش في النفس وسيسرني جداً اصطحابك إلى حفلة العشاء، هل سترتدين شيئاً رائعاً؟»

«لا، لا املك مثل هذا، لدي ثوب رخيص نوعاً ما ليس لدي ثياب ولا مال لشرائها.» ثم ضحكت.

اعجبه منها ذلك، ولم يستطع الا ان يتذكر فرانسيز التي تزدحم خزائنها بالملابس الغالية .

عندما وقف ليودعها، قال: «لقد استمتعت تماماً بمرافقتك إلى السوق والاستماع إلى حديثك يا الكسندرا،

وأرجو ان تستمتعي بسهرتك مع صديقك، وغداً مساءً سآتي لمرافقتك إلى الحفلة، أليس كذلك؟»

«نعم، هذا عظيم.»

عندما خرج صعدت إلى غرفتها لتغير ملابسها استعداداً للسهرة مع جون بلهام. وكانت تفكر في ان بليك رغم انجذابها اليه، لا تشعر تماماً بالارتياح في صحبته، ففيه شيء يزعجها على الدوام، كان سريعاً جداً ونكياً وربما هذا هو السبب أو ربما ثقته البالغة في نفسه، ربما كان مغروراً بعض الشيء، اما الكابتن جون بلهام فهو اقل إرباكاً بكثير فهو بسيط حتى انه خجول. ولكن بليك لم يكن يعرف شيئاً عن الخجل، لدرجة انه حيرها، لكن رأيها في انه غامض لن يتغير. لكنها ما لبثت ان حدثت نفسها بان هذا طبعاً هو ما اعتمر فيه نفسها نتيجة ذلك الشبه بين بليك وصاحب المنزل الصحراوي، لولا ذلك لما خامرها أي شك في بليك لاغام والذي هو على كل حال، صديق للسيدة ويرل.

اخيراً حدثت نفسها بأنها تفكر كثيراً في بليك، والأفضل ان تحول اهتمامها إلى فتى مثل جون، ولكن السهرة مع جون لم تكن ناجحة تماماً، من الواضح ان انجذابه اليها كان قوياً، وفي منتصف الحفلة جلس معها على الشرفة ثم عرض عليها الزواج.

قال: «اعلم انني عرفتك لتوي، ولكنك الفتاة التي كنت ابحث عنها، ان فيك شيئاً يجعل الرجل يعتمد عليك، يا أليكسا وهذا ما يريد الرجل ان يشعر به نحو الفتاة التي يتزوجها.»

جلست صامتة، لم تكن تنوي التورط في صداقة جدية مع

جون، فقد كانت واثقة من ان جون ليس هو الرجل الذي كان
تنتظره، وعندما رآها تتردد، انحنى إلى الأمام قائلاً: «
أراك مخطوبة لأي شخص، اهناك رجل آخر يا اليكسا؟»

أجابت: «كلا.»

«اذن اتمنى ان تمنحينني الفرصة، انني اعرف انه علي
الافتراق حالياً... إلا اذا اعادوني إلى جنوب افريقيا... عن
ذلك ربما يمكنك الانضمام إليّ هناك. فلدي مزرعة صغير
رائعة في كينيا وانا اعلم انك ستحبين الحياة في...»

«كلا ياجون... في الواقع...»

قاطعها: «انني مجنون بحبك، يا اليكسا. ألا يمكن ا
تمنحينني الفرصة؟ هل استعجلت معك كثيراً.»

نفت بحركة من رأسها، انه لطيف للغاية. فمزرعة ف
كينيا أمر سار حقاً، ولا شك ان والديها سيكونان مسرورين
لو انها كتبت اليهما بانها ستتزوج جون بلهام. لكنها
تستطيع ذلك، انها واثقة من نفسها تماماً.

قالت: «انني آسفة للغاية، ولكنني لا استطيع ان اقول
نعم. انني احترمك كثيراً كصديق إنما ليس اكثر من ذلك.»

عبس وقال: «كأن في قولك هذا هلاكي.»

قالت: «انني آسفة للغاية.»

ضحك وقال: «اظنني كنت احمق... فانا لم امنحك فرصة
لتعرفينني جيداً، فقد وقعت في غرامك على الفور حالما
تعرفت اليك في حفلة السيدة ويرل.»

«هذا لطف بالغ منك، وانا اشعر نحوك بمودة كبرى يا
جون، ولكنني لا ادري لماذا تشعر نحوي بكل هذا، فأنا فتاة
بليدة جداً.»

فقال: «هذا غير صحيح، فأنت حلوة جميلة جداً. انك لا تعرفين مبلغ جمالك بشعرك الاشقر الرائع هذا. قليلات من الفتيات هن موضع لثقة الرجل واعتماده، فانت لا تخذلين الشخص ابداً.»

اطلقت ضحكة صغيرة: «قد افعل ذلك، انك تبالغ في مدحي.»

«كلا، انني واثق منك. حتى ولو كان جوابك لي هذه الليلة بالرفض، فانني احب ان استمر في رؤيتك. اظنني سأسافر سيرسلونني بعد شهر أو شهرين، ولكنني ساكتب اليك اذا سمحت لي.»

فقالت: «طبعاً.» ثم تبادلا العناوين، واستمرت السهرة انما بشكل اكثر هدوءاً.

لكنها عندما اصبحت في فراشها تحاول النوم، لم تكن تفكر في جون بلهام وعرضه للزواج منها... وانما كانت تفكر في بليك لاغام.

عندما تغلب عليها النوم أخيراً، حلمت بذلك المشهد الذي انطبع في ذاكرتها، فقد عادت مرة أخرى إلى وسط تلك المجموعة من الرجال الغاضبين الصائحين، واذا برجل طويل القامة يمسكها، وهو يقول لها: «يا زوجتي الجميلة...»

استيقظت وهي ترتجف بعنف، كان ضوء القمر يتدفق من النافذة، وكان الفندق يغمره السكون. اشعلت النور واخذت منديلاً مسحت به وجهها،ويا له من حلم.

مضت فترة طويلة قبل ان تهدأ نفسها وتعود إلى النوم مرة أخرى.

الفصل الخامس

«أهذا ما تسمينه بالثوب الرخيص نوعاً ما؟»

ألقى بليك لاغام هذا السؤال على اليكسا وهو يضحك وذلك حين التقاها في ردهة الفندق ليلة الحفلة. فبادلته الضحك ولكن خيّل اليها وقلبها يخفق، ان اعجاباً حقيقياً كان في عينيه.

حسناً، لقد كافحت في الواقع، تماماً لكي تظهر بشكل مناسب. كان أفضل ما يناسب هذه الحفلة، مما لديها في خزانتها الصغيرة، وهو ثوب أسود اللون بسيط تماماً إلا من تطريز أخضر حول عنقها وحزام اخضر عريض حول خصرها.

أجفل بليك لاغام قليلاً للتغيير الذي رآه على اليكسا وما للمسة الزينة أن تفعل.

قال بليك: «عندما أتزوج سأشير على عروسي بأن تشتري ثياباً رخيصة جاهزة، إذا كانت هذه هي النتيجة. عند ذلك لن يكون عليّ ان ادفع اثمان الملابس المرتفعة.»

عادت اليكسا تضحك قائلة: «ما ابخلك.»

قال: «دعينا نذهب ونأكل، انني اريد ان آخذك إلى قاعة الحفلة لأباهي بك، وستكونين سيدة السهرة.»

«آه، انك سخيف.»

وجدت نفسها ترتبك إزاء نظراته ولكنها رجت أن يكون بعض ما قاله صحيحاً وإن يكن تحت ستار المزاح.

كان في قاعة المطعم موائد متفرقة زينت بالأزهار الرائعة، وعلى كل منها مصباح مظلل. وأثواب النساء كانت مختلفة الأنواع والألوان.

كانت البهجة قد أخرست اليكسا تقريباً، انها لم تحضر سهرة كهذه في حياتها من قبل كما لم تر بمثلها إلا في الأفلام. شعرت بأنها مع مرافق هو من أحسن الرجال مظهراً في الحفلة.

كان الطعام والحلوى لذيذين للغاية، وعندما بدآ يتناولان القهوة بعد العشاء، سألها: «هل استمتعت بالطعام؟»

اجابت بحماس: «كان عشاءً رائعاً.»

اخذ يراقب بصمت الفتاة التي كانت مستغرقة في ما يدور حولها بين الجموع، وهو يفكر في مبلغ ما تبدو عليه من نضارة وحيوية. كانت حماستها ممتعة للنظر لو كانت فرانسيز في مكانها لقالت انها تشعر بالضجر.

فجأة، بدا وكأن مزاج بليك قد تحول من المرح وخلو البال إلى قلق وضيق، فقال لها: «دعينا نخرج، لقد ابتدأت اشعر بالاختناق. إن الحرارة وروائح العطور القوية لم تعد تحتمل، ألا توافقين على هذا؟»

اليكسا لم تكن توافقه على هذا لكنها اذعنت لرغبته، فخرجت معه من قاعة الحفلة إلى الحديقة حيث كان الجو بارداً منعشاً، ويا لها من ليلة سطعت فيها النجوم وذلك البدر الرائع خلف منازل دمشق القديمة تحول المدينة إلى مشهد من حكايات ألف ليلة وليلة.

قال بليك: «اتحبين ان نخرج بجولة في السيارة؟ ان سيارتي هنا، دعينا نخرج إلى الطريق الصحراوي.»

فهتفت: «يا لها من فكرة جميلة. اسيارتك مقفلة؟»

«كلا، انها سيارة مكشوفة. قد تصابين بالبرد.»

نظرت إليه بعينين تتألقان كالنجوم، وقالت: «لن اصاب بالبرد، سأصعد إلى غرفتي وأغير ملابسي. وعلى كل حال فالحفلة ستكون قد انتهت عند عودتنا.»

أومأ قائلاً: «لا بأس، ستكون السيارة في انتظارك.»

أسرعت إلى غرفتها وخفقات قلبها تتسارع، جولة في سيارة مكشوفة في ضوء القمر مع بليك هي شيء يبعث على البهجة، ونهاية مناسبة لهذه السهرة الرائعة.

مضت لحظة لم تستطع فيها العثور على بليك. ثم ما لبثت ان رأته واقفاً بجانب سيارته يتحدث إلى رجل ما، كان ظهره اليها وكان الرجل يتكلم شاكياً بصوت عال.

ترددت اليكسا للحظة، ثم سمعت بليك يتكلم،بدت الطاعة على الرجل، واخذ يتمتم: «سيدي، سيدي.» وذلك بلهجة الاعتذار.

وقفت اليكسا لحظة جامدة لا تتحرك، وفجأة شعرت بالبرد والخوف. ذلك الصوت، صوت بليك،الصارم، أي ذكرى ايقظها صوته هذا؟ انها تعرف الجواب، انه ذكرى ذلك الرجل الذي كان يتحدث إلى الرجال في ذلك المنزل الغامض في الصحراء. لقد كان هو نفسه ذلك الرجل، انه هو وتقسم على ذلك، الآن.

استدار بليك ورآها، فقال باسماً: «هذا حسن، إنك اسرع امرأة عرفتها، تعالي يا الكسندرا.»

لقد عاد ذلك الرجل الانكليزي المرح مرة أخرى غير واع إلى أن أمره قد كشف.

دخلت اليكسا السيارة ببطء وصمت. لم تستطع ان تجد شيئاً تقوله. كانت في الواقع، تشعر بأنه من الحماقة ان تفتح موضوع ذلك المنزل الغامض مرة أخرى فتفسد بذلك جمال هذه السهرة، رغم ان السهرة قد فسدت وانتهى الأمر وذلك بسبب الشكوك التي عادت اليها.

سألها: «هل ارتديت ملابس دافئة؟ سيبرد الهواء عندما نخرج من المدينة.»

قالت: «نعم.»

لم يلحظ شيئاً غير عادي في تصرفاتها، فقاد السيارة في الشوارع الضيقة للمدينة إلى ان وصل إلى الضواحي ومنها إلى البراري.

كانت الكيسا مستغرقة في تأملاتها، فهي تعرف هذا الطريق، لقد سارت فيه في ذلك اليوم المصيري. كان ذهنها مليئاً بذكريات لا تنسى حين تركا المدينة وانوارها المتألقة خلفهما وبدت لهما الجبال البعيدة غير واضحة المعالم. وبعد فترة لم يعد هناك سوى الصحراء امامهما يلفها سكون هائل بينما ضوء القمر يغمر الكون بجمال لا يصدق.

اوقف بليك السيارة، ثم سألها:«ايعجبك هذا؟» وأشار بيده إلى ما يحيط بهما.

«نعم. إنه جميل.»

عندما نظر اليها، لاحظ أن وجهها الجميل مستغرق في التأملات إلى حد الجد التام، كما أن الانزعاج يبدو في عينيها.

«ما الذي حدث؟ لقد كنت تفيضين بالحياة في الحفلة، أتراني جررتك منها رغم إرادتك؟»

ابتسمت قائلة: «انا لا اقوم بأي شيء رغم إرادتي.»

«يا لك من فتاة مزهوة بنفسها، لم تخبريني هل استمتعت بسهرتك مع ذلك الشخص؟»

«إنني لم استمتع كثيراً.»

«ولكنني ظننته شاباً ظريفاً.»

«إنه كذلك... ولكن...»

فقاطعها: «اعرف ما حدث. لقد حاول مغازلتك ولكنك رفضته.»

ضحكت بخجل وسألته: «كيف عرفت ذلك؟»

«لقد تكهنت بالأمر، إن أي شاب يخرج معك لا بد له من ان يغازلك.»

شعرت بنبضات قلبها تتسارع: «انك تقول اشياء غير عادية.»

«يا عزيزتي، ليس لديك فكرة عن مبلغ جمال عينيك في ضوء القمر.»

حولت وجهها عنه وقد التهبت وجنتاها، ثم قالت متلعثمة: «انك ذلك الرجل... نعم... انك هو. انا اعلم هذا. ولا شيء تقوله يمكن ان يقنعني بغير ذلك.»

جلس بليك وقد تسارعت انفاسه، وبدت في عينيه على الفور نظرة خطرة ما لبثت ان تلاشت وعاد هادئاً باسماً كما كان: «تلك القصة القديمة مرة أخرى... آه، يا الكسندرا. لماذا تفسدين ليلتنا الجميلة هذه.»

«لقد سمعتك تتحدث مع ذلك الرجل في الفندق.»

«وماذا في ذلك؟»

اجابت: «اريدك ان تطلعني على الحقيقة.»

فقال: «يا عزيزتي الكسندرا، هل علينا أن نختار هذه الساعة للخصام؟»

فسألته: «لماذا تحب الخروج معي؟ لماذا؟»

وإذ شعرت اليكسا بخيبة الأمل لسكوته، قالت بمرارة: «اعلم جيداً انك ذلك الرجل، واريد ايضاحاً.»

«لست مستعداً لاعطائك اي ايضاح، يا الكسندرا.»

«ألا تريد ان تعترف؟»

اجاب حانقاً: «يا عزيزتي، انك تتكلمين وكأنك تلميذة مدرسة. حتى ولو كنت على صواب في ظنك، فما الذي ستفعلينه؟»

«سأذهب إلى السيدة ويرل.»

«ماذا ستقولين لها؟»

«ساخبرها عنك كيف انك ترتدي ثياب هذه المنطقة، بينما تملك المنزل السري.»

لم يظهر على وجهه أي تعبير وهو يقول: «اتظنيني جاسوساً؟»

اجابت: «قد تكون كذلك، وقد يعني هذا اشياء كثيرة، ولكنها ليست صائبة.»

«وما أدراك انني لست جاسوساً من الجهة الوطنية، أيتها الطفلة الحمقاء.»

فقالت: «حسناً جداً، اذا كنت في الناحية الوطنية، فلا مانع لديك إذن من أن اخبر آل ويرل.»

«بل امانع لأنني لا اريد لأموري الخاصة ان تشاع بين الناس.»

«انك تخاف ان اخبرهم. اظن بإمكاني ان ادلهم إلى ذلك

المنزل. انك لا تريدهم ان يستعلموا عنك، أليس كذلك؟»

فجأة تغيرت ملامحه، وهو يقول: «لن اسمح لك بالتدخل في حياتي.»

اطلقت ضحكة صغيرة متوترة. أدركت ان بإمكانها ان توقف هذه المحادثة وذلك بالاذعان له فقط ولكن العناد الذي هو من اطباعها، حملها على التحدي، فقالت: «لا بأس، يمكنك ان تعيدني إلى الفندق ولا تتحدث إليّ بعد ذلك أبداً. ولكنني على كل حال، سأخبر آل ويرل وأجعل الشرطة العسكرية تحقق معك، انه واجبي.»

مضت لحظة صمت، قال بعدها بهدوء: «إن وطنيتك تدعو إلى الاعجاب، يا عزيزتي الكسندرا.»

قالت بصوت خافت: «أنا آسفة، كل ما أريد هو ان تحدثني بالحقيقة عن هذا الأمر.»

لم يجب، وإنما حرك السيارة، فاندفعت إلى الأمام. وافترضت اليكسا انه سيستدير ثم يندفع عائداً إلى الفندق. ولكنها دهشت وهي تراه يتابع سيره إلى الأمام وقد زاد من سرعته. صرخت به وهي تشعر ببرودة الثلج: «إلى اين انت ذاهب؟ لماذا لم تستدر عائداً؟»

نظر اليها بسرعة، وتصورته يبتسم ابتسامة ماكرة ثم قال بلغة فرنسية ممتازة: «لأنك يا زوجتي الجميلة، تعرفين الكثير، ولأسباب كثيرة جداً، حالياً، لا استطيع ان اسمح بان تذهب تلك المعلومات إلى آل ويرل. ولهذا ستعودين معي إلى منزلي في الصحراء لكي تقيمي فيه سواء شئت أم أبيت.»

بقيت اليكسا لحظة لا تستطيع الكلام، فرغم كل شيء تملكها الذهول وهي ترى بليك يعترف بصراحة.

كان بليك ينطلق بالسيارة بأقصى سرعة، ما جعل الصحراء تمر بهما كلمح البصر، انه يأخذها الآن إلى منزله الغامض، ولكنهما ما لبثا ان انحرفا عن الطريق فلم تعد تعلم اين هي. لقد سارت على هذا الطريق من قبل، ولكن بعينين معصوبتين.

لم يكن يريدها ان تدلي للآخرين بمعلوماتها، ولهذا يقوم باختطافها حسناً، هذا يصلح لفتاة من العهد الفيكتوري، ولكنه سيجدها صعبة لا تقهر.

حاولت ان تستخلص عجلة القيادة من يده، ولكنه هب فيها صارخاً: «إفعلي ذلك فتقتلينا نحن الاثنين ونحن نسير بهذه السرعة، يا فتاتي.»

تراجعت إلى الخلف وهي تعض شفتها. الحق معه طبعاً.

كان بليك يقود السيارة بسرعة جنونية، ولكنه كان يعرف الطريق ولم يكن ثمة شيء قادم في اتجاهه. جلست اليكسا صامتة دون حراك، كان لديها الكثير لتقوله للسيد بليك لاغام. ولكن يمكن لهذا كله ان يقال فيما بعد.

خيل اليها انها ترى من بعيد الغابة التي سبق وتاهت فيها. دارا حول الغابة ثم دخلا طريقاً ضيقاً...

ومن ثم لاح لها شكل المنزل الأبيض وأوقف بليك السيارة مطفئاً محركها.

قامت بحركة سريعة حاولت بها القفز خارج السيارة، ولكن يده كانت قد امسكت برسغها بسرعة البرق: «آه، كلا يا عزيزتي.»

«لا بد انك مجنون، لا يمكنك ان تحتجزني هنا رغم ارادتي.»

«هذا آخر شيء ارغب في القيام به. فأنا لا احب إكراه النساء على شيء.» قال ذلك بابتسامته الساخرة.

فقالت: «حسناً، انني اكثر من مكرهة. فانا لا اثق بك، واظن ان كل شخص يجب ان يعلم عن كل هذا...» واشارت بيدها إلى المنزل وما حوله.

أطلق ضحكة قصيرة وهو ما زال ممسكاً بمعصمها. «حسناً، انهم لن يعرفوا شيئاً عنه. اما بالنسبة اليك انت يا زوجتي الجميلة...» وقال الجملة الأخيرة بالفرنسية.

صاحت به قائلة: «إياك ان تجرؤ على مناداتي كذلك.»

«ثم انك، يا حلوتي الكسندرا، كنت متجاوبة معي تماماً اثناء الحفلة هذا المساء، وكذلك اثناء رحلتنا هذه في السيارة، هل تغيرين مزاجك دوماً بهذه السرعة؟»

شعرت بالحرج يتملكها، فابتدأت تقول: «انك شخص سافل...»

قاطعها مؤنباً: «الآن... الآن... لا تضيعي الوقت بشتمي...انك تميلين إليّ كثيراً... وانا معجب بك ايضاً ومن المؤسف انك تدخلت في شؤوني الخاصة.»

نظرت اليه وعيناها تلتمعان غضباً: «حتى ولو كنت معجبة بك حتى الجنون فهذا لا يمنعني من ان أسعى لمعرفة الحقيقة من عملك هذا. انه يبعث الشك في نفس كل انسان. لو كانت اعمالك بريئة لما خشيت أمر انكشافها... على الأقل ليس منا ناس امثال السيد بيرسي والسيدة ويرل.»

«يا عزيزتي، انك تتدخلين في أمور لا تفهمينها، مما يسبب لي ازعاجاً دون ضرورة.»

«انك إذن خائف مني حقاً.»

«انني لست خائفاً منك وإنما مما قد تثيرينه من ثرثرتك.»

«ألن تخبرني بالحقيقة؟»

«كلا، ليس حالياً.»

«انك لا تجرؤ.»

«لا أجرؤ على ان اجعلك تخبرين الآخرين بحقائق مزيفة.»

«ولماذا مزيفة؟»

فقال عابساً: «والآن اسمعيني. انني لست مستعداً للتحدث كثيراً في هذا الموضوع. ولكن ما عليك ان تعرفيه هو ان هذا المنزل هو مقري السريّ وانا اتعامل مع السكان المحليين ويجب ألا يعلم احد بأموري هذه. فالأفضل لك، يا عزيزتي الكسندرا، ان تظلي تلك الفتاة الجميلة الفاتنة القادمة في إجازة. ولكنك لسوء الحظ اصطدمت بوكر للدبابير، وهكذا قد تجدين بقية إجازتك مملة بعض الشيء. ولكنني لا استطيع ان اسمح لك بالعودة إلى دمشق لكي تتحدثي عني، لا استطيع المجازفة بذلك حتى ولو وعدتني بالصمت.»

قالت بغضب: «ولكنني لن اعدك بذلك، انك إذا لم تشأ ان تخبر احداً بطبيعة عملك فهذا معناه أن عملك سيء.»

فهز بليك كتفيه: «كلامك هذا لن يصل بنا إلى نتيجة والآن كل ما اريده منك هو ان تجلسي هنا بهدوء وان لا تسببي لي الازعاج الذي لن يفيد الا في زيادة مصاعبي ومصاعبك.»

«لا اريد ان ابقى هنا هادئة إذا كنت ناوياً ان تجعلني سجينتك.»

قال: «إنها حماقة منك. فهي يعني انني سأرغمك،

وسأكون في غاية الأسف لاضطراري لاستعمال هذا معك.»

ولكنك لن تستطيع. لابد انك مجنون.« إن صديقتي جوان داوسون ستصل قريباً. إذا انا اختفيت فهي ستبحث عني.»

«سأهتم بهذا الأمر. سيصل إلى الآنسة داوسن، والذي كنت اخبرتني انها تعمل في المستشفى العسكري في القاهرة، سيصل اليها برقية تخبرها بانك غيّرت خطتك وان لا تأتي اليك لأنك ستذهبين للاقامة مع بعض الاصدقاء في اليونان.»

حملقت اليكسا فيه: «ولكن ليس بامكانك ان تفعل شيئاً كهذا. ان هذا ظلم كما انها تعلم انه ليس لديّ اصدقاء في اليونان.»

قال بابتسامة باردة: «انك إذن، قد تعرفت اليهم حديثاً.»

قالت: «هذا شيء غير معقول، لا يمكنك القيام بذلك. ان الفندق سيقوم باستعلام عني.»

«يا عزيزتي السكندرا، انني ساهتم بكل شيء، وهذا سهل جداً. غداً سأذهب إلى الفندق وادفع حسابك واخبرهم بأن الآنسة لن تعود، واحضر لك امتعتك. كما انني سأرسل خبراً إلى السيدة ماري ويرل اخبرها فيها بأنني قد استدعيت إلى القاهرة، وانني لا استطيع ان افيها حقها من الشكر لأنها عرفتني إلى فتاة مثل الكسندرا فوربس والتي، بالمناسبة ستعود معي إلى القاهرة بعد ان انتهت اجازتها.»

شهقت قائلة: «لم اسمع بمثل هذه الجرأة والوقاحة ابداً من قبل.»

«ان على الشخص ان يكون جريئاً وقحاً للقيام ببعض الأشياء في هذا العالم، يا الكسندرا.»

قالت: «اسمع، هذا عمل غير عقلاني يا بليك. اخبرني بالحقيقة ثم دعني اذهب، وانا اعدك بأن لا أبوح بالأمر لأحد.»

تذكر رغم ارادته، الوقت الرائع الذي أمضاه بصحبتها في الحفلة والسيارة والذي كان غير عادي بالنسبة اليه، لقد كان شيئاً حقيقياً في حياته ولكنه حالياً لم يعد حقيقياً تقريباً، ولديه مثل هذا العمل الشاق الذي كلف به والذي يستلزم السرية التامة. انه يعلم تماماً ان بإمكانه ان يحب السكندرا ويثق بها تماماً، ولكن هذا السر لم يكن ملكه لكي يتصرف به. ان عليه ان لا يدلي اليها بأي تفسير الآن. ذلك ان غلطة صغيرة كفيلة بان تحملها على الارتياب ما يجعل عاطفتها الوطنية المتقدة تجرفها... وبالتالي قد تضيع عليه اسابيع من العمل.

تذكر انه قد اقسم على ان لا يصرفه عن قصده أي امرأة أو لهو شخصي. عند ذلك قويت عزيمته على الوفاء بقسمه ذاك، فحول نظراته عن وجه الفتاة وقال فجأة: «انني آسف. ليس امامي سوى ان احتجزك هنا.»

«إلى متى؟»

«ربما لمدة اسبوع.. أو اسبوعين. هذا يتوقف على الظروف.»

«ولم يبق من اجازتي سوى اسبوعين، فإذا تأخرت عن ذلك فسيبدأون بالاستعلام عني في مكتبي.»

فقال باسماً: «سأهتم بهذا الامر.»

هتفت: «كفى ثقة من انه بإمكانك ان تقوم بكل شيء.»

«آسف لازعاجي لك، ولكن علي ان اكون واثقاً من نفسي.

لقد كنت حمقاء يا عزيزتي، إذ اقحمت نفسك في هذا الشأن.»

«أؤكد لك بأنني لم اكن اريد ذلك، ولكن بعد ما حدث لي هنا... ثم مقابلتي لك بعد ذلك ... وإدراكي ان لك شخصيتين مختلفتين... كيف لي ان اتجنب التدخل...»

لمس أثر الجرح على وجهه، وقال: «حسناً، انني واثق من انك لن تستعملي معي السكين مرة أخرى. انني افضل ان تعامليني بشكل افضل يا الكسندرا.»

قالت: «اكرهك.»

ضحك وقال: «انك فائقة الجمال ولكنك، في نفس الوقت، تملكين الشجاعة والثقة بالنفس التي لدى الفتى. انك ماهرة بالرياضيات، ومحاسبة ممتازة. كما ان لك وجهاً فاتناً، وهذا مزيج غريب. والآن هيا بنا يا الكسندرا، وأمضي ما بقي من اجازتك في منزلي الغامض كما تسمينه. إنه معروف هنا بانه منزل رجل ثري يدعى هاذل والذي هو بالمناسبة، الاسم المعروف به انا هنا. ان لدي كل وسائل الراحة هنا. وسأهتم بأن يكون لديك هنا الكثير من الكتب والمجلات وسأهتم باحضار خادمة لك غداً وستكونين مصانة معي فاطمئني.»

لقد طمأنها إلى ذلك مرة من قبل، فجعلها تشعر بالخجل من مخاوفها. وهذه الليلة لم تكن تشعر بالخوف منه، وإنما بالغضب لاحتجازه لها هنا دون ان يخبرها شيئاً عن نفسه.

قالت له فجأة: «لماذا لا تخبرني بالحقيقة وتدعني أذهب؟»

«آسف، لا استطيع ذلك.»

«إذن فسأستمر في الظن بانك تعمل ضد مصلحة الشعب.»

ضاقت عيناه، ولكنه ضحك وقال: «يمكنك ان تظني ما تشائين، منذ هذه اللحظة فصاعدا لن اكون بليك لاغام وانما هذيل مرة أخرى، وانت ماري زوجتي الجميلة. ولن تجديك نفعاً ان تستغيثي بأي شخص هنا لأنهم لا يفهمون الانكليزية، وإذا ما اخذت تبكين وتقومين بأي شغب فهم سيضحكون منك، ويظنون انك زوجة مشاغبة تستحق الضرب.»

شحب وجه اليكسا وقالت بسخط: «فهمت.»

اضاف يقول برقة: «ليس معنى هذا انني اظنك من النوع الذي يبكي ويشاغب. وانا آسف إذ افسد عليك إجازتك بهذا الشكل.»

«انك مجنون وستدفع ثمن كل هذا عندما أعود.»

«هل ستدخلين المنزل معي بهدوء، أم انادي خدمي؟»

قالت بحدة: «ليس في نيتي ان اجعلهم يحملونني بينما اصرخ وأرفس، اذا كان هذا ما تعنيه.»

«هذا يلائمني.»

ترك معصمها، ثم نزلا من السيارة بصمت، دخلت معه إلى فناء المنزل مفكرة بمعنى كل هذا، من هو هذا الرجل؟ لا بد انه جاسوس، وحيث ان من المفروض ان يكون بليك لاغام يعمل في الديبلوماسية الخارجية، فمن الواضح انه يقوم بلعبة مزدوجة، وأدركت انه يريدها ان تعتقد بانه يعمل لمصلحة بلده. ولكن لو كان الأمر كذلك، لكان من السهل عليه ان يسمح لها بأن تخبر السيدة ويرل، والتي يسمح وضعها بان تعلم الكثير من الأسرار السياسية. لا بد ان هناك شيئاً غير شريف في هذا العمل وإلا لما خاف من ان تتحدث عنه، ولا ان يصل به الأمر إلى حد سجنها في منزله.

صفق بليك يديه، وإذا برجال يتدفقون من نواح مختلفة وقاموا بالتحية بلغتهم. وقفت اليكسا جانباً، بينما اخذ بليك يلقي الأوامر. وفي خلال لحظات، كان باب المنزل قد فتح لهما، وشعت القناديل الرائعة بالأنوار، ومرة أخرى تقف اليكسا في تلك الغرفة المترفة الأثاث التي كانت رأت فيها بليك يتحدث إلى رجاله. واخذت تفكر: لا بد ان الأمر كله كان كالحلم الذي رأته الليلة الماضية.

استدار بليك اليها قائلاً: «اظنك متعبة، سأرسل اليك قهوة... وشطائر اذا شئت إلى غرفتك، قد يكون الأمر شاقاً عليك قليلاً هذه الليلة، ولكن رئيس خدمي يقول بانه سيحضر اليك ابنة شقيقته لتخدمك.»

فقالت ببرود: «اشكرك. بإمكاني ان اخدم نفسي...»

قال: «ومع ذلك، فالخادمة ستأتي.»

اجابت باختصار: «لا بأس.»

قال: «سأذهب للنوم،وماذا عنك؟ الساعة تجاوزت الواحدة صباحاً.»

قالت باختصار مماثل: «نعم، إنني متعبة.»

فجأة، تقدم منها ماداً يده: «الكسندرا، انني آسف لهذا... ألا تثقين بي ونصبح صديقين؟»

رفعت ذقنها متحدية: «الأصدقاء يثقون ببعضهم بعضاً. ولكنك لا تثق بي، ولهذا نحن لسنا صديقين.»

قال: «حسناً جداً والآن إلحقي بي.»

تأخرت عنه وقد بان عليها التوتر: «ألا يمكن أن أبقى هنا...» واشارت إلى الغرفة المترفة حيث الأريكة الفخمة التي تكومت فوقها وسائد حريرية مخططة.

قال بحزم: «كلا. انك ستستعملين هذه الليلة غرفتي، وغداً سيكون جناحك الخاص جاهزاً، آه، لا تخافي... فأنا سأبقى هنا... واكرر ما سبق وقلته لك منذ ايام... وهو ان ليس بك حاجة إلى السكاكين للدفاع عن نفسك.»

استدارت غاضبة ودخلت إلى الغرفة فأغلق الباب خلفها. ولكنه سرعان ما فتحه مرة أخرى ليلقي اليها بالمفتاح: «خذي هذا، ستشعرين بالارتياح إذا اقفلت الباب على نفسك، يا زوجتي الصغيرة.»

سارت إلى السرير وجلست عليه بتثاقل. انها لا تكاد تصدق ما حدث لها. هي السكندرا فوربس. يختطفها بليك لاغام ويحتجزها هنا رغم ارادتها.

لماذا لا تريه، حالاً ان ليس بإمكانه فعل ذلك، قفزت من مكانها ثم فتحت الباب بشدة، وإذا بها ترى رجلاً طويل القامة واقفاً هناك. إنحنى تحية لها ولكنه بقي مكانه. أدركت انه حارس، فأغلقت الباب ثم اسرعت نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها فدخل ضوء القمر إلى الغرفة.

عبقت في أنفها رائحة الاشجار العطرة. وعلى بعد أمتار قليلة من النافذة، كان يجلس حارس آخر على الأرض. وهكذا كان بليك لاغام يعني كل ما قاله.

اغلقت النافذة شاعرة بخيبة الأمل ثم تحولت نحو السرير. وفجأة خطر في ذهنها الناحية الهزلية من كل هذا. فأخذت بالضحك، وهي تدفن وجهها بين الوسائد لكنه كان ضحكاً انتهى بدموع الغضب.

الفصل السادس

عندما استيقظت اليكسا من نومها في الصباح، خيّل اليها انها ما زالت تحلم، فنظرت حولها وبدل من ان تجد الجدران البيضاء والأثاث الجميل في غرفتها في الفندق، رأت أشعة الشمس تتسلل من بين مصراعي النافذة وقد وقف بجانب فراشها أجمل شخص رأته الكيسا في حياتها. كان ذلك الشخص فتاة شابة هي صورة صادقة من حكايات ألف ليلة وليلة. كانت ترتدي ثوباً طويلاً ذا لون أزرق قاتم، وكان لها عينان كبيرتان بنيتان بأهداب طويلة سوداء كانت صغيرة الحجم نحيفة الجسم.

جلست اليكسا وقد استيقظت تماماً، واخذت تحدق في الفتاة ثم هتفت بها: «من انت؟»

ابتسمت الفتاة مظهرة اسناناً لؤلؤية، ثم ضحكت واظهرت عدم الفهم. لكن اليكسا فهمت الآن، لا بد انها ابنة شقيقة رئيس خدم بليك والتي جاءت لخدمتها.

حدثتها اليكسا بالفرنسية، فأجابت الفتاة على الفور، متحدثة بطلاقة إنما بلكنة صعبة ولغة غير صحيحة نوعاً. قالت ان اسمها روزي وكانت منذ فترة قصيرة بخدمة شريف المنطقة، ولكن الشريف قد ذهب في رحلة طويلة، وهكذا ارسل خالها اليها لتحضر وتستلم هذا العمل الجديد في منزل السيد هذيل وتكون الخادمة المخلصة لزوجته.

استمعت اليكسا إلى كل ذلك بشيء من الانزعاج تذكرت ان

هاذل هو الاسم الذي يطلقونه على بليك وانها يفترض فيها ان تكون زوجته. فقالت لها: «إسمعي يا روزي. انني لست زوجة هاذل وإنما سيدة انكليزية، وانا أريد ان ارسل رسالة في الحال إلى اصدقائي. هل تأخذين هذه الرسالة؟ يجب ان تفهمي انني سجينة رغم ارادتي.»

نظرت روزي بعطف إلى هذه السيدة الانكليزية الرائعة الجمال والتي يشبه شعرها لون القمح، وقالت: «مسكينة يا سيدتي.» ثم هزت رأسها آسفة.

قفزت اليكسا من السرير: «هل سمعتني؟ يجب ان تأخذي الرسالة في الحال.»

مرة أخرى، ابتسمت الفتاة وتأوهت فأخذت اليكسا تكرر قصتها مرة أخرى، ولكن صوتاً مألوفاً لديها قاطعها من النافذة. كان صوت بليك يقول بالانكليزية: «لا تضيّعي وقتك، يا عزيزتي الكسندرا. ان روزي مقتنعة بانك مخبولة، فهي لن تهتم حتى ولو قلت لها بأنك ملكة، وكذلك لن تذهب إلى اي مكان لأجلك لأنها، مثل خالها ، خادمتي المخلصة. وهي لن تأخذ الأوامر إلا مني أنا، ما عدا طبعاً، طلباتك الخاصة بالنسبة لراحتك في هذا المنزل.»

اندفعت اليكسا نحو النافذة، كانت وجنتاها متوهجتان سخطاً، وكان بليك يقف باسماً.

قالت: «هذا غير معقول.»

نظر اليها بسأم وهو يقول: «ليس لدي وقت، يا عزيزتي، للبدء في مناقشة جديدة. ان هناك عدداً من الشخصيات الهامة قادمة لرؤيتي. وانا اريدك، تبعاً للعادات، أريدك ان تبقي في جناحك ولا تلفتي الانتباه

إلى نفسك، كما سبق وفعلت في المرة الماضية عندما كنت اعقد اجتماعاً.»

نظرت اليه بغضب ولم تعرف بماذا تجيب، اضاف: «أثناء نومك، ذهبت إلى الفندق واحضرت لك امتعتك. ستحضرها اليك روزي. وهناك رسالة أو اثنتان لأجلك. وبالمناسبة، انا اعلم انك لا تريدين ان تسببي القلق لأسرتك. لهذا ارجوك لأجلهم، ان تكتبي اليهم رسالة عادية وسأرسلها أنا اليهم.»

بدا محيّراً تماماً. لماذا، بعد ان اختطفها بهذا الشكل، يهتم بمشاعر أسرتها؟ وإذ تذكرت بيتها الحبيب في بيكنهام، ووالديها والتوأمين، تدفقت الدموع من عينيها. فأدارت ظهرها بحدة.

وقفت للحظة تفكر، وإذا بروزي تسألها: «ماذا تريد السيدة ان تتناول للفطور؟ لقد سبق وتناوله السيد. ما أجملك يا سيدتي بشعرك الذهبي هذا وعينيك الزرقاوين، وكم هو شجاع السيد هاذل، الحاكم. انه اجمل سيد في العالم.»

استمعت اليكسا إلى هذا بضيق. لم تكن تريد ثرثرة هذه الفتاة. اما ان بليك شجاع ووسيم وحاكم فهو في نظرها لا يخرج عن كونه محتالاً ومزدوج الشخصية. ازدادت تعاستها عندما احضرت روزي اليها حقيبتها ورسالتين، واحدة من والدتها والأخرى من صديقتها جوان داوسن، فتحت رسالة جوان أولاً وقرأتها أثناء ذهاب روزي لاحضار الفطور اليها. وما قالته جوان انهى كل أمل. لقد كانت أليكسا تأمل في أن تبدأ جوان بالبحث عنها، لكن جوان قد اصيبت بالتهاب في الغدة مما جعلها لا تستطيع القدوم إلى لموافاتها.

لقد كتبت اليها تقول: «... ولكن يبدو انك تعرفت إلى كثير من الشخصيات الهامة مؤخراً يا أليكسا. ولهذا اشعر بانك ستستمرين في التمتع بعطلتك. في رأيي ان الكابتن القادم من جنوب افريقيا هو شخص محترم، ولكن السيد لاغام لا بد انه شخص غريب يثير الفضول...»

مسحت أليكسا دمعها وهي تردد، يثير الفضول! نعم انه الوصف الصائب له. ويا ليت جوانا تعلم بما حدث.

أما الرسالة الثانية، فقد جعلتها تعود إلى البكاء. كانت احدى رسائل والدتها الحلوة البالغة البساطة والتي تحوي كل أخبار الأسرة. لقد ازدادت مشاغل الوالد بعد ان اصبح مراقب في المنطقة. أما هي، والدتها، فقد اصبح لديها الكثير من العمل بعد ان توقفت المرأة التي تساعدها يومياً عن القدوم، ولم تجد غيرها. وهكذا أنهت رسالتها بالدعاء لها بالصحة والعافية في إجازتها المرضية هذه.

اخذت الدموع تتدفق من عيني أليكسا. فمسحتها بسرعة، فهي لا تريد أن تظهر كل هذا الضعف أمام روزي عندما تعود. ولكن تلك الرسالة جعلتها تحن إلى أهلها . أطلقت ضحكة هستيرية وهي تفكر في ما سيقولونه لو عرفوا بما يحدث لها. لن يخطر ببالهم انها سجينة شاب خطر تتراوح شخصيته بين الرقة والقسوة، والذي تتمنى من كل قلبها لو أنها لم تتعرف إليه قط.

إنها ترى، على كل حال، ان من العبث التفكير في محاولة الخروج من هذا المكان. فبليك لاغام، لديه سبب قويّ جداً يدفعه لاحتجازها هنا، وهو لن يتخلى عن يقظته وحذره مطلقاً.

ابتدأت تخرج حاجياتها من الحقيبة، وكان هذا النهار شديد الحرارة. فارتدت الملابس الخفيفة. وبعد ساعة، فتحت باب غرفتها وأخذت تسترق النظر إلى الغرفة المجاورة، ولكنها سرعان ما أغلقت الباب مرة أخرى. من الواضح ان ليس بإمكانها الخروج، فقد كانت مليئة بالرجال وكان بليك يقف عند رأس المائدة يتحدث إليهم. كان السيد بليك لاغام يعقد مؤتمرا آخر، كما رأت أليكسا. وتساءلت عما عسى أن تكون خطته الشريرة الآن.

أخذت تتجول في الحديقة، ولكنها لم تكد تسير عدة أمتار حتى سمعت صوت بليك يناديها، فاستدارت وواجهته. كان يسرع إليها. كما كان العبوس يبدو عليه بجلاء.

قال باختصار: «إذا أردت أن ترتدي مثل هذه الثياب، أرجوك ان تعودي إلى غرفتك.»

وضعت أليكسا يديها في جيبيها ورفعت ذقنها متحدية: «لا يمكنك أن تتوقع مني أن ارتدي مثل ملابس روزي لأرضيك، يا سيد بليك لاغام.»

«لم يطلب أحد منك ذلك. ولكن يجب أن تبدلي ثيابك.»

«لا تكن سخيفاً.»

قال بحدة: «إنني مشغول جداً، يا جميلتي، وليس لدي وقت للجدل معك. يجب أن أعود إلى المؤتمر.»

فقالت متهكمة: «لا تدعني أعيقك عن ذلك يا هاذل، يا محترم.»

امسك بيدها بشدة ليعود بها إلى المنزل، وهو يقول: «عليك ان تطيعينني أثناء وجودك هنا وإلا... ستعاملين كطفلة مشاغبة.»

أدخلها إلى غرفتها، ولكنه وقف للحظة يحدّق إليها. كانت عيناها مليئتين بالكراهية، كما خيل إليه. وفجأة قال لها: «لا تنظري إليّ هكذا.»

لم تكن في الواقع، تخاف منه وإنما من مشاعرها، فقد كان له تأثير قوي عليها رغم ما تشعر به من كراهية له.

تركها دون كلمة أخرى، ثم استدار وسار بصمت، اسرعت خلفه تقول: «إلى متى ستدوم هذه المهزلة؟ متى ستطلق سراحي؟»

التفت إليها قائلا ببرود: «لقد تحدثنا في كل ذلك من قبل. إلى أن أنجز عملي.»

قالت بحدة: «بإمكاني أن أدخل إلى الغرفة الثانية وأخبر كل أولئك الرجال أنك تحتجزني رغم ارادتي.»

«أرجوك أن توفري على نفسك مثل هذا العمل، إنهم لن يفقهوا كلمة واحدة وإنما سيظنون أن حرارة الشمس أثرت على عقلك.»

فقالت بلهجة المغلوب: «فهمت.»

قال: «ان المؤتمر على وشك الانتهاء. وسأقوم برحلة قد تستمر عدة أيام. أتشاور فيها مع بعض الأشخاص ذوي الأهمية من الحكام.»

أطلقت ضحكة خشنة وقالت: «لن أكون آسفة لذهابك.»

«صدقيني يا عزيزتي أن لا رغبة لديّ في تركك وحيدة هنا حتى مع خدمي المخلصين.»

«ماذا تعني؟»

«أعني أنني سآخذك معي، إنك ستسببين لي الكثير من الازعاج، ولكن هذا ضروري.»

«لا يمكنك ارغامي على المجيء.»

«هذه الرحلة ذات أهمية قصوى بالنسبة إليّ. ولن أفسدها بالقلق البالغ عليك. لهذا ستأتين معي، مهما كان الأمر.»

نظرت إليه بفزع: «آه.»

«انك ستستمتعين بهذه الرحلة. استريحي فقط واتركي الأمر لي. إلى اللقاء، يا زوجتي الجميلة.» نطق بهذه الجملة الأخيرة بالفرنسية وخرج.

انتهى المؤتمر في ذلك المنزل وتفرق الرجال وجلس بليك لاغام على الأريكة وحده مع رجل ذي لحية سوداء وعيني صقر.

وقال الرجل: «يسعدني اننا توصلنا إلى اتفاقية الصداقة هذه التي تناسب مصلحة شعبينا.»

أجاب بليك بنفس: «كما يسعدني أنا أيضاً.»

فقال الرجل: «لم يعد الآن ما يحول بينك وبين رغبتك، يا هاذل، إلا كلمة السيد مايك الذي هو وأبناؤه، حكام أقوياء وهم يكرهون الانفصال عن أرضهم أو السماح لحكومتكم بالعمل في قسم منها.»

قال بليك: «سأذهب غداً للاجتماع بمايك وأبنائه.»

فقال الرجل بأدب: «أتمنى لك التوفيق.»

لقد عمل بليك وتعب طويلاً لأجل غرضه هذا وهو في ان يتخذ شخصيتين مختلفتين أثناء الستة أشهر الأخيرة.

بعد رحيل الرجل، وقف على العتبة ينظر نحو الصحراء مفكراً. من المحتمل أن تكون المواجهة مع مايك صعبة. أخذ ذهنه يعمل بنشاط في وضع خططه، وشعر فجأة بالأسف لعدم تمكنه من وضع ثقته بالكسندر كلياً، ولكن

السر لم يكن سره هو شخصياً ليخبرها به وقد أقسم على كتمانه عن أي شخص إلى ان يتم انجازه.

لم يكن العمل الذي أوكل به سهلاً. فقد كان من الدقة والخطورة بحيث لم يكن يستطيع القيام به سوى القليل من الرجال. لقد كان هناك سببان رئيسيان جعلا الحكومة البريطانية تختار بليك لاغام. الأول هو معرفته بالغة المنطقة وحبه للصحراء. أما السبب الثاني فهو التدريب الباكر الذي قام به لكي يكون مؤهلاً لأن يصبح مديراً في الشرق الأوسط لشركة والده للنفط. فقد كان بليك يعرف كل شيء تقريباً عن كل ما يتعلق بالبترول.

منذ ستة أشهر، علمت الحكومة البريطانية أن ثمة نفطاً يمكن استخراجه وذلك في منطقة معينة من صحراء هذه البلاد كانت مجهولة ومملوكة من افراد قبائل لا يملكون المال ولا العلم لاستغلال النفط.

وهكذا أصبح من الضروري عقد معاهدة مع اصحاب هذه الارض لاستئجار أو شراء هذا الجزء من أرضهم للظفر بها قبل أي دولة أخرى. فإذا ما ذاع نبأ هذا الاكتشاف، سرعان ما يتزاحم على الظفر بحقول النفط هذه بلدان أخرى. وهكذا يجب أن تتم هذه القضية بسرية فائقة.

بقي شهوراً يقوم بدوره المنفرد مقوياً الصداقات والثقة بينه وبين رجال الصحراء أولئك. فاتخذ هذا المنزل الممتاز، كما أمضى أياماً وليالي في ضيافتهم. فكانوا على استعداد للاستماع إليه لأنه يتكلم لغتهم. ولكن مايك، بقي عقبة أمامه لا يريد ان يتخلى عن حقه في حقول النفط. ولأنه لم يكن يستطيع استخراجه بنفسه، فقد استحال إلى

رجل متعسف يرفض البيع إلا لمن يقدم أفضل عرض لذلك. لقد اصبحت القضية الآن قضية أي رجل يقدم العرض الأفضل. وقد صمم بليك على ان يكون هو ذلك الرجل. وأن لا يعود إلى بلاده هذه المرة إلا وفي يده الغنيمة جاهزة لتسليمها إلى حكومته.

لهذا كان من المزعج أن تدخل هذه الفتاة الانكليزية دون قصد إلى حياته، ولأجل شكوكها تلك، وجد من الضروري أن يختطفها. ذلك لأن كلمة تحذير واحدة لأناس مثل آل ويرل وتبدأ المشاكل وهذا ما تريد الحكومة البريطانية تجنبه.

يجب أن تبقى السكندرا سجينته، ويجب أن تأتي معه إلى منزل مايك . نقر على باب اليكسا، ففتحته وهي تقول بجفاء: «ماذا تريد؟»

فقال بالانكليزية لأنهما وحدهما: «تعالي وتناولي الغداء معي يا الكسندرا. لست بحاجة إلى اقفال الباب على نفسك طوال الوقت.»

سألته: «أحقاً؟ كنت أظن نفسي أسيرتك؟»

قال: «لا تكوني غبية، لقد قدمت اليك جناحي الخاص لتشعري بالراحة التامة.»

«لا يهمني أين أنام. ولكن كلما كنت بعيدة عن جناحك الخاص كان ذلك أفضل.»

ضحك قائلاً: «إنك تتكلمين كتلميذة مدرسة.»

فقالت: «انك تقوم بلعبة خطرة يا بليك لاغام، فلا ترغمني على هذه الرحلة.»

«آسف لأن هذا لا يمكن تجنبه.»

«هنالك قانون ضد هذا النوع من الأمور.»

«عندما يتضح أخيراً كل شيء لك يا الكسندرا، ستجدين أن القانون في جانبي.»

«هذا ما تقوله أنت.»

«وهذا ما أعتقده تماماً.»

«إنك تضايقني، فأنت دوماً راضٍ عن نفسك. دوماً تتكلم بالاحاجي.»

نظر إليها بأسف، لم يكن يريدها أن تكون جافة معه إلى هذا الحد. ورآها قد استبدلت ملابسها وبدت كتلميذة مدرسة كما وصفها لتوّه. لقد بدت صغيرة السن حقاً وعدوانية وعديمة الثقة به تماماً. مسكينة الكسندرا الصغيرة ابنة بيكنهام. إن فيها ناحية حلوة بدائية تفتنه.

ابتعد فجأة، وقال: «لا فائدة من الجدل فنحن نخطىء في فهم بعضنا البعض. يمكنك أن تظني ما تشائين، فأنا حالياً لا يمكنني تقديم أي ايضاح لك.»

قالت وهي تمسك برسالتين: «قلت بأنك سترسل رسائلي بالبريد. أرجوك أن تفعل هذا.»

بدت في عينيه رقة غريبة وهو يتناول منها الرسالتين، وقال: «سترسلان إلى البريد. هل ستتناولين الغداء معي؟»

أجابت باقتضاب: «كلا، شكراً، دع روزي تحضر إليّ الطعام إلى هنا.»

قالت ذلك ببرود، ثم صفقت الباب في وجهه.

الفصل السابع

لم تره أليكسا مرة أخرى في ذلك النهار الذي كان أطول يوم أمضته في هذه البلاد الخلابة، ولكنها كانت تفتش عن دلائل النقص في سجنها هذا، كان هناك حرس حول المنزل. وكانت قد اكتشفت هذا بعد عدة محاولات منها للهرب، وفي كل مرة كان رجل مهذب يقف حاجزاً بينها وبين تجاوز الحديقة وذلك بابتسامة مؤدبة، وكان أكثر ما يضايقها هو وجود روزي الدائم معها، حتى عندما كانت تبعدها من الغرفة، كانت تلاحظ أن الفتاة ما زالت تحوم حول الغرفة تتجسس عليها.

كانت أليكسا قد رأت بليك يغادر المنزل بعد الغداء مباشرة، وحسب قول روزي، فإن السيد لن يعود عند الغروب. فأمضت معظم النهار في الحديقة تقرأ وتحاول عبثاً كشف غموض شخصية بليك لاغام.

في تلك الليلة، رقدت أليكسا وقد تملكها الضيق والقلق، فكانت تصحو أثناء الليل لكي تفكر في الغد وبالرحلة الاجبارية في الصحراء. كانت الناحية الطفولية فيها تشعر بالبهجة لهذه المغامرة، أما الناحية الأخرى منها... ناحية الحذر التي نشأت عليها، فقد كانت تثور في نفسها.

عندما استيقظت في الصباح التالي كانت تشعر بشيء من الكآبة. لقد استيقظت باكراً وما زال الهواء بارداً. وعندما فتحت روزي النافذة، رأت أليكسا حمرة الفجر

خلف الجبال. قالت روزي: «إن السيد يرجو منك أن تسرعي، يا سيدتي. وهو يطلب منك ارتداء هذه...» ووضعت على السرير بعض الملابس.

نظرت أليكسا، بعينين ناعستين إلى ما أحضرته لها الفتاة، إنه سروال ركوب، وجزمة، ومعطف من الكتان.

سألت روزي: «من أين جاءت هذه الملابس؟»

كعادتها، اندفعت الفتاة تضحك وهي توضح لها الأمر. لقد اشتراهم السيد امس.

وإذ رأت أن ليس أمامها خيار سوى ذلك، متذكرة تهديد بليك لها لو رفضت، ارتدت الملابس. وعندما انتهت نظرت إلى نفسها في المرآة وهي تبتسم باشمئزاز.

جلست تتناول الفطور، وما أن أنهت القهوة حتى سمعت بليك يناديها: «هل أنت مستعدة يا ماري؟»

خرجت من غرفتها ووجدت بليك في انتظارها.

قالت بتهكم: «إنني مستعدة.»

نظر إليها ثم أومأ قائلاً: «تبدين رائعة. إن حكمي لم يكن سيئاً.»

سألته: «أليس في ارتدائي السروال والجزمة ما يصدم أصدقاءك؟»

«كلا، فهذا متوقع من النساء الفرنسيات والانكليزيات حين يسافرن في الصحراء.»

قالت بنفس اللهجة التهكمية: «يجب أن تخبرني بكل اعتراضاتك وذلك لكي أمتثل لأوامرك على الدوام.»

لم يبد عليه أن أهتم بما تقوله. فقد كان ذا مزاج غير عادي هذا الصباح كما خيّل إليها.

كان في انتظارهما أربعة رجال، أحدهم رئيس الخدم وبجانبه حصان رائع الجمال. قد يكون لأجل بليك، وخلفهما كان جمل وعلى ظهره هودج صغير. نظرت إليه أليكسا بفزع وقالت: «هل عليّ أن أجلس في هذا؟»

فقال بليك باختصار: «إنه سيحميك من أشعة الشمس فيما بعد. عليك أن تقودي هذا، والذي أوافقك على أنه غريب عليك وغير مريح في البداية. ولكنه أفضل لك من الحصان حيث أنك لا تحسنين الركوب.»

قالت باقتضاب: «لا بأس.»

فقال: «يمكن لروزي أن تأتي معك إذا شئت. ولكنني أؤكد لك أنك ستكونين آمنة معي من دون مرافقة.»

قالت بحدة: «هيا بنا.»

كان هو الذي ساعدها في الارتقاء إلى ظهر الجمل ثم قال: «يوماً ما، لن يعود يهمني ما إذا كنت أصفح عنك أم لا.»

ابتعد عنها، وفي اللحظة التالية كان قد اعتلى حصانه العربي بينما أمسك رجل منهم بمقود الجمل وضربه بعصا لينهض.

كانت ستائر الهودج مزاحة، ما جعلها ترى كل ما أمامها. كان بليك يتقدمهم متوغلاً في جوف الصحراء.

إلى أين كانوا ذاهبين، هذا ما لم تكن أليكسا تعرفه، ولو كانت في ظروف مختلفة، لشعرت بالبهجة لجمال امتداد الصحراء وسكونها. وعندما ارتفعت الشمس، شعرت بالحر الشديد رغم أنها مظللة في الهودج.

كانت تملأها الرغبة في الوقوف والراحة. لكنها لم تطلب من بليك ذلك منتظرة أن يقوم بذلك من تلقاء نفسه.

وقبل أن يعطي الأمر بالتوقف، كانا قد قطعا مسافة أربع ساعات. وكانوا قد وصلوا إلى واحة حيث كان هناك بئر ومجموعة من أشجار النخيل. نظرت أليكسا حولها، وهي تتساءل أين عساهم يكونون. أتراهم تائهين، أم أنهم قد ابتعدوا عن الطريق العامة ليهيموا في الصحراء؟

نزل بليك عن صهوة جواده، ثم تقدم من أليكسا قائلاً ببشاشة: «دعينا نساعدك على النزول. لقد قطعنا مسافة جيدة، آمل ألا تكوني متعبة.»

نزلت وهي تقول: «كلا أبداً.»

بدا الاعجاب في عينيه. كان يعلم أنها كاذبة فهي متعبة وظمأى وتشعر بحر شديد. وعندما أصبحت على الأرض، كانت على وشك السقوط فقد كانت تشعر بالتشنج فقال لها: «لشد ما أنا آسف، يا عزيزتي...»

عندما حاول مساعدتها ابتعدت عنه قائلة: «إنني بخير. شكراً.»

فقال باستياء: «حسناً، كما تشائين، إذا كان هذا ما تريدينه.»

قالت: «لم أكن أريد أن أكون هنا معك، أبداً. إنما حالياً، أنت هو المسيطر.»

قال متضايقاً: «أرجو أن تكفي عن ذكر السيطرة والسجن، والأسر. لماذا لا تكونين عاقلة فتستمتعين بهذه الرحلة التي تعتبرها كثيرات من الفتيات بهيجة لا مثيل لها؟»

«شكراً، فأنا لست مبتهجة. كان عليك أن تحضر روزي إذا كنت تريد معك فتاة لا تقول سوى نعم.»

ابتعد عنها فجأة وتوجه نحو خيمة جلس أمامها بعض

الرجال والنساء. كان بعض الأولاد يلعبون في أنحاء المكان، بينما تصاعد دخان من نار، فجلس بليك بعد أن تبادل بضع كلمات مع احد الرجال، ثم أشار إلى أليكسا بالجلوس بجانبه.

قال لها بصوت خافت: «هؤلاء من السكان البسطاء. كوني مؤدبة معهم، فيعاملونك بثقة ومودة.»

يبدو على هؤلاء الناس أنهم يحبون بليك. كل إنسان يحبه، كان، بصفته بليك لاغام،ذا شعبية بالغة في غرفة جلوس السيدة ويرل. وبصفة هاذل، بين رجاله، كان دوماً يحف به جوّ من المحبة والاحترام.

شربت من ابريق الماء الذي ناولها إياه بليك. وعندما رأى الاشمئزاز يكسو ملامحها، همس يقول: «حاولي أن تظهري السرور. فما هذا الذي شربته سوى لبن الجمال. إنني أعرف أنك قد تجدينه غريباً ولكنني سأعطيك الشاي فيما بعد.»

فأومأت بالقبول. حدقت النساء إلى الفتاة الشقراء وأشار الأولاد إليها بأصابعهم وهم يضحكون فيما بعد، أحضر لها طبقاً يحتوي على اللحوم المعلبة فأخذت تأكل، ثم شربت الشاي، والذي كان دون سكر أو حليب، ولكنه سد ظمأها على كل حال، وخفف عنها. ثم سألت بليك: «أين نحن الآن؟»

التفت إليها وقال بلطف: «إنك لن تعرفي إذا أنا أخبرتك، ولكننا بعيدون جداً عن الحضارة، إنما نحن أقرب إلى ساحل البحر، فهذا جزء من الأرض نادراً ما يكتشفه السواح. إننا نقصد مكاناً حيث يعيش مايك. ولكننا لن ننام هناك هذه الليلة فالرحلة تستغرق يومين كاملين.»

سألته بامتعاض: «أما كان بإمكاننا القدوم بالسيارة؟»

قال بصبر: «كلا. لأننا، يا عزيزتي، نسير في أرض وعرة لا تستطيع السيارة السير فيها. ولكنك ستعتادين ركوب الجمل.»

فقالت: «آه، أشكرك.»

رحلة يومين كاملين في جوف الصحراء! يا له من أمر. إن ركوبها الجمل بعد الظهر لم يكن أكثر راحة لها من الصباح. وعند الساعة الرابعة كانت أليكسا من التعب والانهاك بحيث أخذت تتساءل عما إذا كانت ستتمكن من مداومة الجلوس، أم أنها ستقع أرضاً. وفي هذا الوقت هبت الرياح مهددة بعاصفة رملية. كان في البداية لا يكاد يلحظ، ثم إذا بالشمس تصبح كمصباح قرمزي من خلف الجبال. فنادى بليك بالوقوف، ثم أقبل مسرعاً نحو الجمل وهو يقول لها صائحاً: «ستهب الآن عاصفة. ولكنها لن تدوم طويلاً. ترجلي حالاً.»

بدا لأليكسا وكأن هنالك ظلمة مفاجئة عمت الكون وكأن الليل قد هبط دون انذار. جلسا يحتميان من الريح بجسم الجمل والجياد مغطين رؤوسها بقطع من القماش. وفي اللحظة التالية كانت العاصفة الرملية قد أقحمت نفسها على هذه المجموعة الصغيرة.

دست وجهها بين ذراعيها شاعرة بالاختناق، وبما يشبه الدوار، لقد بلغ منها التعب قمة الارهاق. وسمعت صوته من خلال هدير العاصفة، يقول قرب أذنها: «لا تخافي، إبقي بجانبي...»

لم تجب، ولكنها بقيت قريبة منه لا تتحرك.

سمعت صوته يتمتم في أذنها: «لا تستمري في الغضب

مني، يا الكسندرا. فهذه مغامرة رائعة لنا نحن الاثنين إذا توقفت عن كرهي.»

ساورها الأمل فجأة في أنه قد يطلعها على سره، فقالت: «أنا لا أكرهك، وإنما لا أفهم... هذا كل شيء. ولكن إذا وضعت ثقتك بي...»

قاطعها: «لا تطلبي مني ذلك.»

«إذن، فأنت تقوم بعمل خاطىء... فلو لم يكن كذلك لأخبرتني.. وأخبرت آل ويرل.»

«أيتها الحمقاء. لا تستمري في الغطس في المياه بينما لا تحسنين السباحة، قلت لك ان ترتاحي وتنسي ما أقوم به.»

«لا أريد... لا أريد أن تمشي الأمور حسب رغبتك.»

«إنني لم أقصد ذلك، صدقيني فهذه ليست الطريقة التي أردتها أن تكون.»

أخذت الدموع تجري على وجنتيها، و شعر هو بدموعها تلك، فقال: «آه يا عزيزتي. لا تبكي، أرجوك.»

شعرت بالألم والشعور باللهفة لأن تصطلح الأمور بينهما، فهي تريد أن تثق به من كل قلبها.

قالت بصوت متهدج: «أرجوك يا بليك... حدثني عن نفسك... لا يمكنني أن أستمر بهذا الشكل.»

لم تستطع أن ترى وجهه، ولكن فقط تسمع صوته وهو يجيب: «أما زلت قلقة متشككة؟»

«نعم. نعم... لا بد أن أعلم.»

«إنني آسف، يا عزيزتي، إذ أخيّب أملك، لأنني لا أستطيع إخبارك بأي شيء.»

«ولكن... لماذا؟»

«هنالك أسباب كثيرة. الكسندرا. هل علينا أن نبدأ من جديد؟»

أجابت بحدة: «نعم. يجب أن يفهم كل منا الآخر...» وتلاشى صوتها. شعرت بينما ساد الصمت بينهما، بالاختناق تحت الغطاء. والرياح تعصف فوق رأسيهما...

كان بليك لاغام يحاول السيطرة على نفسه مرة أخرى. ألم يقسم على أن لا يدع حباً لامرأة أو لأي شيء آخر، يقف بينه وبين عمله البالغ الأهمية هذا؟ لقد سبب الضرر له احضارها معه، ولكنه لم يجرؤ على تركها في المنزل.

في هذه اللحظة، تذكر قول رجل كان قد تكلم معه قبل قدومه إلى هنا في مهمته تلك، إذ يقول: «مهما حدث، فلا تقل شيئاً لأي امرأة، وكلما زاد جمالها وصدقها، كلما كانت أقرب إلى أن تفضح سرّك، يا بني.»

حسناً، إن قناعته الداخلية هي التي جعلته يدرك أن الكسندرا هي فتاة صادقة، ولكن، حتى ولو كان ذلك، فهو لا يجرؤ على الثقة بها. لقد أصبحت المكافأة في قبضته، والعمل كاد ينتهي. ويوماً ما، ستصفح عنه بكل تأكيد.

وأخيراً قال: «إنني أعتذر يا عزيزتي. ولكن كل ما أرجوه هو أن تلتزمي البشاشة والمزاج الحسن طوال الرحلة وإلا فسنصبح مجنونين قبل انتهاء الرحلة.»

كلماته هذه جعلتها تعيسة للغاية. وحدثت نفسها بكآبة عن مبلغ ما في الطبيعة البشرية من تقلب. كان بإمكانهما أن يكونا صديقين حقيقيين، لو أنها أدركت السبب الحقيقي لخوفه من أن يدعها تعلم أصحاب السلطة بشخصيته الثانية.

فجأة، إذ بالعاصفة تنتهي بشكل مفاجيء كما ابتدأت. أزاح بليك قطعة القماش، فجلست أليكسا تسترجع أنفاسها، شاعرة بالارهاق والدوار.

قال باقتضاب: «يجب أن نتابع الرحلة. هل يمكنك السير مسافة أخرى؟ أحب أن نجتاز عدة أميال أخرى قبل حلول الظلام.»

أجابت: «نعم. إنني مستعدة.»

بعد ذلك بلحظات كانوا يتابعون السير. وأخذت أليكسا تشعر بالآلام في رأسها. لقد كان كل هذا كثيراً عليها في يوم واحد. ونظرت بعينين حمراوين، إلى بليك لاغام وهو يتقدم الجميع. ولم تعرف ما إذا كانت تحبه حقاً أم تكرهه.

أخذ شعورها بالارهاق يزداد إلى حد مخيف، وشعرت بالدوار وكأنها على وشك النوم. وهذا ما حدث بالضبط. وعندما فتحت عينيها مرة أخرى، وجدت أنها لم تعد على ظهر الجمل، وإنما مستلقية على الارض وتحت رأسها وسادة. نظرت حولها بحيرة، بينما كان الظلام يعم المكان إلا من مصباح يتدلى من باب الخيمة. وكان بليك يقف هناك ومن فوق كتفيه رأت ضوء القمر. ضوء القمر؟ غير ممكن. لقد كان آخر ما تذكره قبل فقدانها للوعي هو أن الشمس كانت ما تزال مشرقة.

جلست ونادت: «بليك.»

«إذن، فقد استيقظت؟»

فقالت: «نعم.. إنما لا أدري ماذا حدث...»

«لا تقلقي، فقد نمت أثناء الرحلة، لذا نصبنا خيمة هنا وضعتك فيها. كنت مرهقة تماماً.»

قالت بصوت خافت: «أشكرك كثيراً.»

«سأرسل إليك شيئاً من الطعام... والقهوة... لدينا ما يكفي من هذا، ولكن ليس من الرفاهية، مع الأسف...»

فقالت: «هذا غير مهم.»

صفق بيديه، فأقبل رئيس الخدم مسرعاً يلقي بالتحية بطريقته الدمثة. فألقى بليك بأوامره ثم التفت إلى الفتاة وقد صمم على استعمال الشدة معها ومع نفسه. كان يعلم أن هذا هو الافضل حالياً. ولكن، ما أن وقعت نظراته عليها، حتى اكتسحته موجة من الرقة هددت بتغيير ما قرّره. بدت له طفلة عاجزة تماماً. قال بجفاء: «تصبحين على خير، يا الكسندرا. عندما تنتهين من تناول طعامك، أنصحك بالعودة إلى النوم، لأننا سنشرع باكراً بالرحيل.»

عندما انتهت من الطعام تحولت أفكارها نحو بيتها في الوطن.كم كان دايفيد سيستمتع برحلة كهذه. وكذلك كانت أليكسا ستجد متعة كبيرة فيها لولا ذلك الغموض الذي يكتنفها.

لم تكن تشعر بالتعب، فخرجت من الخيمة تتمشى في ضوء القمر. كان الرجال مجتمعين حول نار مشتعلة بينما الجمل والجياد بجانبهم. كان الرجال يغنون أغان حزينة للغاية جلبت الكآبة إلى نفس أليكسا. هذا العالم المغمور بضوء القمر كان يتدفق فتنة وجمالاً، ومع هذا كانت كل أحزان البشر تتزاحم في نفسها وهي تستمع إلى هذا اللحن الحزين، أرادت أن تهرب، أن تضع أصابعها في أذنيها كي لا تسمع ذلك الغناء، أن تسلم نفسها إلى روعة الصحراء، أن تذهب إلى بليك آه، لم تكن تعرف ماذا تريد.

وقفت وقد تملكها الضياع والارتباك. وإذا ببليك يظهر فجأة. تقدم نحوها يسألها: «ما الذي تفعلينه؟ ادخلي إلى الخيمة، أرجوك.»

أجابته بحدة وغضب: «إن شكلي محترم تماماً. أليس كذلك؟»

قال: «لا بأس، عودي إلى خيمتك.»

فأطاعته كارهة وهي تهتف: «يا لك من مستبد.»

فقال: «هذا وقت النوم.»

«وكيف بإمكان أحد أن ينام بينما الرجال يحدثون كل تلك الضوضاء؟»

«إذا كان هذا ما يزعجك فسأخبرهم بالتوقف عن الغناء.»

«يبدو أنك تحب اصدار الأوامر والحصول على ما تريد، يا سيد لاغام.»

فأطلق ضحكة قصيرة: «وأنت ماهرة تماماً في نيل ما تريدين يا آنسة فوربس.»

قالت بغضب: «تصبح على خير.»

أجاب: «تصبحين على خير.»

خرج من خيمتها، بينما وقفت هي للحظة تصغي وفجأة، توقف الغناء وما لبث أن ساد السكون..

ألقت أليكسا بنفسها على فراشها الخشن، ودفنت وجهها في الوسادة.

لم تشعر في حياتها بما تشعر به الآن من وحدة وتعاسة.

الفصل الثامن

أخذوا مرة أخرى يضربون في قلب الصحراء،ولم تعد تشعر بذلك التعب السابق رغم الليلة الماضية وما رافقها من كرب وكآبة. كانت مشاعرها نحو بليك لاغام مشوشة بشكل لا يوصف. لكن ذلك لم يمنعها من الشعور بجمال الفجر الذي لا يضاهى، رغم زمهرير الصحراء، والهواء القارس الذي يهب من ناحية الجبال.

أخذوا يتابعون السير حثيثاً ودون توقف إلا لتناول الغداء حيث جلست وبليك جنباً إلى جنب يتحدثان بأدب .

عندما استأنفوا السير مرة أخرى بعد الظهر. أخذت أليكسا تحدق مفكرة كم ان بليك غريب الأطوار فالجميع يظهرون له احتراماً كبيراً، ويكلمونه بشكل ودي للغاية.

«سنصل إلى مكان مايك مع غروب الشمس، انني اهنئك لاحسانك ركوب الجمل.»

قالت ببرود: «شكراً.»

تابعوا سيرهم، وبدت الصحراء في عيني أليكسا الآن كبساط من الرمل الأصفر، يمتد نحو الأفق ولكن بعد فترة أخذت تفرك عينيها المتعبتين وتحدق، فقد خيل إليها انها ترى أشجار، أهذا سراب أم حقيقة؟ كان حقيقة فقد بدأ الحديث يدور بين الرجال يتخلله أوامر بليك الحادة، وعندما اقتربوا أمكنها أن ترى الواحة، نخيل كثير ساحق وخيام منتشرة... ودخان يتصاعد من نيران مشتعلة في

أماكن متعددة... وأناس يتحركون هنا وهناك... لقد وصلوا إلى الجزء الصحراوي الذي يسيطر عليه مايك أحد أغنى حكام الصحراء. حال اقترابهم تراكض لاستقبالهم عدة رجال. وتقدم بليك بحصانه نحو الجمل ينادي أليكسا.

قال لها: «أريد أن أحذرك، ان الرجل الذي سأراه، معروف بالغدر. ان ما يقوم به لن يؤثر عليك بشكل خاص، وإنما سيؤثر على عملي الذي يهمني. ولكن بما انك جميلة الشكل، وهم لا يرون كثيرات مثلك في هذه الأنحاء، أنصحك بأن تلتزمي الهدوء التام وتذكري انهم يعتقدون بأنك زوجتي.»

«أظن بإمكاني الانتباه إلى نفسي.»

قال بحدة: «إنني لا أسألك عما تظنينه... انني أخبرك بأن تكوني لبقة ديبلوماسية أثناء وجودنا هنا.»

كاد العناد يدفعها إلى الرد عليه لولا انه لم يترك لها الوقت لذلك. تابع سيره، ثم ما لبثوا أن توقفوا، وبعد ذلك بلحظات كان بليك وأليكسا يسيران جنباً إلى جنب.

شعرت بالسرور إذ وطئت الأرض مرة أخرى، كانت ظمأى والحر انهكها، لكن بليك الذي كان يسير بكبرياء عالي الرأس دون أن يبدو عليه أي أثر من التعب. قال لها هامساً: «ابقي بجانبي ولا تقولي شيئاً.»

كانت الأرض مغطاة بسجاد سميك وفي الوسط قامت مائدة من الخشب تحيط بها الكراسي، كما كان هناك أريكتان ومناضد منخفضة عليها كل أنواع الفاكهة والحلوى، كما تدلى من وسطها مصباح رائع.

وكان مايك يجلس على إحدى الأريكتين، وبجانبه وقف ولديه، وقد بدت الغطرسة على وجوههم، وخلفهم

مباشرة وقف خادمان أسودان، يحملان سيفين معقوفين لامعين، كان واضحاً أنهما حارسان خاصان.

تقدم بليك إلى الأمام وألقى التحية.

رد مايك وولداه التحية بصوت واحد: ثم أشار مايك إليهما بالجلوس.

همس بليك لأليكسا: «انه يرحب بنا، وسيقدم مأدبة على شرفنا هذا المساء، من الأفضل أن تذهبي بعد لحظات إلى مكان النساء، ولكنك ستحضرين المأدبة طبعاً.»

فنظرت إليه بامتعاض: «كان علي أن أبقى في منزلك.»

فقال عابساً: «حسناً، لاحظي تصرفاتك أؤكد لك أن وجودك هنا هو مبعث إزعاج كبير لي.»

«انه ذنبك إذ أحضرتني إلى هنا.»

أثناء هذا الحديث، بدا على مايك وولديه انهم يراقبونهما باهتمام كبير.

كان بليك ينظر إليهم خفية، مفكراً في أنه قد يجد صعوبة في حملهم على بيع أي أرض يملكونها، ولكن بليك والذي كان يعرف تماماً هذه البلاد ومختلف أنواع سكانها بدا اهتمامه منصباً أكثر على الابن الأكبر جاك، والذي يبلغ من العمر قرابة الرابعة والعشرين ولم يكن جاك يمضي الكثير من وقته مع والده. فقد كان أكثر طموحاً ومغالٍ في تباهيه بنفسه.

كما انه كان تواقاً إلى عرض معلوماته في اللغات حيث انه أخذ يخاطب بليك باللغة الفرنسية، فانصتت أليكسا السمع، مسرورة بأنها ستتمكن أخيراً من فهم بعض الحديث. فبعد تلك الرحلة الشاقة، وشرب القهوة،

والجلوس في هذا الجو الخانق، شعرت بالدوار وحتى بالغباء، ولكنها تابعت الاصغاء إلى ما كان جاك يقوله.

كان مايك وولده يشعران بالفخر باستضافة هاذل الذي انتشر صيته في ذلك القطاع، والذي كانت معرفته بسكان الصحراء وتعاطفه معهم معروفاً لدى الجميع، كما انهم كانوا يشعرون بالشرف لحضور زوجة هاذل الجميلة، فأي شيء كان يرغب فيه الواحد منهما ما عليه إلا أن يطلبه.

بعد نحو نصف ساعة، التفت بليك إلى أليكسا وقال: «أظن من الأفضل لك الآن أن تذهبي إلى مكان النساء.»

وقفت أليكسا، فقال جاك بفرنسيته المحطمة: «أتريد السيدة شيئاً فأحضره لها؟»

ابتسمت أليكسا له، وأجابت بأدب: «كلا، شكراً.»

لكنها كانت تفكر: ماذا ترى هذا الرجل فاعله إذا أنا أخبرته بأنني هنا رغم إرادتي؟

ثم شعرت بأصابع بليك على معصمها، وكأنه قد قرأ أفكارها، «انني أحذرك... أي كلام فارغ سينتج عنه مشاكل كبرى، إياك أن تراودك أي أفكار حمقاء عن طلب العون والهرب مني.»

شعرت بالغضب، وبعد ذلك بلحظة كانت في خيام النساء، وتبع ذلك ساعة مليئة بالسأم، كانت تفضل على ذلك ركوبها الجمل في الصحراء، فكونها ضيفة لم يبعث التسلية في نفسها، فالجلوس في جو خانق جعل أليكسا تشعر بالغثيان.

ولكنها كانت مسرورة، إذ سمح لها بالاستحمام في حوض مليء بالماء الساخن المعطر أحضروه إليها.

ارتدت معطفاً منزلياً كانت اشترته في مصر مصنوعاً من قماش مقصب وينزل إلى كاحلها. ورغم تحذير بليك لها، تحولت أفكارها نحو ابن مايك، بامكانها أن تتحدث بالفرنسية مع جاك، وسيفعل كل ما تطلبه منه، انه حقاً سيكون انتصاراً ساحقاً إذ تظفر بهذا العون وبالتالي تتغلب بدهائها على بليك.

كان بليك قد أخبر أليكسا انه سيأتي ليرافقها للوليمة والتي ستقام على شرف هاذل وزوجته، ولكنها لم تنتظر قدومه، فوضعت وشاحاً حريرياً على رأسها ثم تسللت إلى خارج الخيمة متجنبة النساء. وقفت أليكسا تحدق إلى النجوم التي ترصع السماء، انها لم تر ليلة كهذه قط من قبل. وكان بعض الناس متجمعين بجانب الجمال حول نار كان وهجها ينعكس على الخيام.

أثناء وقوفها بدا أمامها ظل في ضوء القمر، نظرت حولها فرأت جاك واقفاً يحييها، ثم اقترب منها مبتسماً.

قالت له بشيء من التوتر: آه، مرحباً...»

قالت ذلك بالانكليزية دون وعي منها، فأجاب بفرنسيته المحطمة: «تحياتي سيدتي، انك تتحدثين إليّ بالانكليزية أليس كذلك؟ أنا لا أفهمها.»

أخذت تعتذر بفرنسيتها الطليقة. عند ذلك قال: «لقد جئت لأخذك إلى والدي. هل تمانع السيدة في أن أخبرها بأنها تبدو في غاية الجمال.»

بقيت لحظة لا تجيب. لم تهتم بمديحه هذا، ولكنها كانت تفكر بأن هنا رجلاً معجباً بها وصديقاً سيمنحها المساعدة التي تبغيها دون ريب، ان هزمها لبليك لاغام

لهو فوز عظيم، بليك الدكتاتور الواثق من نفسه. بليك الذي يعتقد ان بامكانه اختطافها والافلات من العقاب.

وفجأة قالت له: «جاك... هل لك بأن تفعل شيئاً لأجلي؟»

«انني بخدمتك يا سيدة...»

فقالت: سأطلعك على سر لأنني أريدك أن تساعدني، أريد الذهاب منا هنا، ولا أريد أن يعلم بليك... هاذل بذلك.»

رفع الشاب حاجبيه: «زوجك، يا سيدة؟»

قالت بصوت خافت: «كلا، انه ليس زوجي، هذه هي الحقيقة.»

نظر إليها مذهولاً: «أليس هو زوجك؟ من هو إذن؟»

فقالت وهي تنظر من فوق كتفها بخوف وكأنها تخاف من أن يكون بليك قادماً، ثم قالت: «كل ما يمكنني اخبارك به هو أن لا قرابة بيني وبينه مطلقاً، انني فتاة انكليزية لدي وظيفة في القاهرة مع الحكومة الانكليزية، وكنت أمضي إجازتي فخطفني هاذل...»

تلعثمت قليلاً وهي تفتش عن معنى كلمة اختطاف بالفرنسية، واستغرق فهم الفتى لمعنى الكلمة عدة ثوان، وعندما فهمها ضاقت عيناه وزم شفتيه: «إذن فالسيدة... أعني الآنسة قد اختطفت رغم إرادتها؟»

«تماماً.»

«ولكن هذا أمر شنيع؟»

قالت بلهجة منتصرة: «تماماً فإذا كنت صديقاً للحكومة الانكليزية، ساعدني إذاً على الرحيل من هنا.»

فسألها جاك بصوت خافت: «أليس هاذل صديقاً للحكومة الانكليزية إذن؟»

أجابت أليكسا: «في الحقيقة لا أعرف، فأنا لا أعلم عنه شيئاً سوى أنه يتصرف بشكل غامض ويبدو خائفاً مني... انما أرجوك أن لا تتصور انني سأتدخل في أي عمل تقترحونه، كل ما أطلبه هو أن تساعدني في الرحيل دون أن يعلم هو بذلك.»

مضت فترة صمت ثم قال مفكراً: «من الصعب تهريبك من هنا بسرية تامة. ولكن بإمكاني أن أحاول ذلك بكل تأكيد.»

هتفت: «يجب أن تساعدني، انني اطمئنك إلى انك ستأخذ مكافأة حسنة.»

نظر إليها مفكراً يزن الأمر في عقله، كان يهتم جداً بالمكافآت وسينال مكافأة لو انه ساعدها.

قال: «هل تحسنين ركوب الخيل.»

أجابت بشيء من الضيق: «كلا، مع الأسف.»

«هذا لا يهم، ان لدي حصاناً أسود قوي... انه الأقوى في اصطبلاتنا ويمكن أن تمتطيه معي.»

خفق قلب أليكسا: «متى؟»

أجاب بسرعة: «قبل الفجر مباشرة. انظري... تلك هي خيمتي، وخلفها ساكون في انتظارك، وهناك هي الخيمة التي أعطيت لهاذل ولأن والدي يعتقد انك زوجته، فالمفروض انك ستشاركينه إياها.»

قالت بسخط: «لا شيء من هذا.»

بدا على وجه جاك انه، لم يفهم تماماً فقال: «قد يستدعيك هاذل إلى خيمته، فإذا كان ذلك يجب أن تذهبي لئلا تثيري شكوكه، ولكن لا تنامي. انتظري صيحة الديك الأولى قبل الفجر، ثم انسلي إلى الخارج لمقابلتي.»

قالت الكسندرا: «سأكون هناك والآن يجب أن أذهب لئلا يرانا معاً، كلا لا تأت معي... دعني أذهب وحدي، وأثناء الوليمة لا تدعه يرانا نتحدث معاً.»

قال: «إن طلباتك هي طلباتي.» ثم استدار مبتعداً.

كان ذهابه في الوقت المناسب إذ ما ان توارى عن الأنظار، حتى ظهر بليك لاغام مرتدياً الملابس العربية محيياً الفتاة الواقفة.

قال: «انني قادم لأخذك.»

فقالت ببرود: «هذا تواضع بالغ منك.»

ضحك وقال: «لا تتضايقي، يا الكسندرا انها ليلة رائعة وستمضين أمسية مسلية... أمسية تتمناها فتيات كثيرات في سنك، لقد حاولت هوليوود أن تمثل ليلة مثلها فلم تستطع، ولكنك سترين الشيء على حقيقته.»

فقالت: «هذا لا يهمني.»

ضحك مرة أخرى: «أما زلت غاضبة مني؟»

أظهرت عدم المبالاة، فألقى يده على ذراعها بشكل ودي: «كل شيء سيصلح في النهاية يا الكسندرا لا تهتمي بالأمر أكثر مما ينبغي.»

بقيت على صمتها، حسناً إنها مستاءة منه وليس له الحق في أن يلومها، فقد كان تصرفه معها لا يغتفر في الواقع، وهو لا يستطيع أن يخبر هذه الفتاة الحمقاء بالسبب قبل أن ينتهي كل شيء بينه وبين مايك وتوقع المعاهدة، وهذا قد يحصل قبل أن تنتهي الزيارة هذه.

قال لها: «ستديرين رؤوس القوم بأجمعهم. لا أدري إذا كنت مخطئاً في جعلك تحضرين الوليمة.»

فسألته بازدراء: «لماذا إذن لم تتركين مع النساء؟ يبدو أنك تظن ان هذا هو مكاني المناسب.»

قال معاتباً: «هذا كلام أحمق لا يدل على صداقة.»

«اننا لسنا صديقين.»

جاء دور بليك ليهز كتفيه: «حسناً، إذا كان هذا ما تريدينه، هيا بنا.»

مشت معه مشغولة البال بما سيفعله جاك لأجلها عند الفجر، ما أجمل ما سيحدث... إذ تهرب من بليك بقصتها هذه، ويا لها من قصة ان بليك سيمضي حياته كلها ندماً على جرها رغم إرادتها.

عندما دخلت مع هاذل كانت في قمة السعادة، شعرت بأنها انتصرت على بليك، ولكن بهجتها هذه تلاشت نوعاً ما مع مرور الوقت، لا تدري لماذا، ولكنها أخذت تشعر بشيء من التوتر والقلق لأنها وضعت نفسها كلياً بين يدي جاك،ولكن ما يدريها انه بإمكانها الوثوق به؟

لم يلاحظ بليك انشغال بالها، حتى ولو لاحظ فهو سيظنها مستغرقة في ما يحدث حولها، كما انه هو نفسه قرر أن لا يشغل نفسه بعدائها هذا له، ففي جو هذه الوليمة أخذ يضحك ويمزح مع مايك وأبنائه وضيوفه المدعوين إلى هذه الوليمة لأهميتهم.

بعد انتهاء الطعام وجدت أليكسا نفسها وقد كاد النعاس أن يغلبها، وتمنت لو تذهب لتنام، لكنها أخذت تجاهد لتبقى مستيقظة، فهي لا تجرؤ على النوم هذه الليلة، يجب أن تبقى مستيقظة لكي تسمع أول صيحة للديك.

طال أمد الوليمة إلى حد شعرت معه بصداع واستمرت

تشعر بالنعاس، مال إليها بليك هامساً: «عودي إلى طبيعتك المرحة، يجب أن تعترفي بأن هذه حفلة غير عادية بحيث تحدثين أسرتك عنها عندما تعودين إلى بيكنهام.»

قالت: «هذا صحيح. سيكون لدي ما أخبرهم به.»

ناولها نوعاً من الفاكهة وقال: «تذوقي هذه إنها لذيذة.»

عادت تشعر بالدوار واختلطت المرئيات أمام عينيها والأصوات في أذنيها، ثم سمعت صوت بليك يقول برقة بالغة: «مسكينة يا الكسندرا، ليس كل شخص بإمكانه أن يتحمل هذه الحرارة والجو الخانق.»

بعد ذلك فقدت كل سيطرة على إرادتها واعضائها. كان ما يزال بإمكانها أن ترى وتسمع، ولكن كل شيء كان مشوشاً. فكرت في أن ذلك قد يكون خدعة أخرى من بليك، وأخذت تكافح الغيبوبة، لكن دون جدوى وشعرت به وهو يرفعها بذراعيه لتقف ثم يسير معها. ثم سمعت بليك يودع مضيفيه، وصوت مايك يجيبه: «نوماً جميلاً وأحلاماً وردية إلى أن يبزغ الفجر ليوم جديد.»

سمعت بليك يقول ساخراً: «اغمضي عينيك يا زوجتي الصغيرة... مسكينة أنت لهذا التعب البالغ، نامي وسأبقى حارساً لك.»

حاولت أن تجيب وتحتج وتظهر بعض الغضب، لكن الكلمات لم تنطلق من فمها، وقد أصبحا الآن في الخيمة المجهزة للضيوف والتي تشبه خيمة مايك بجمالها وروعة تنسيقها، كما ان رائحة الورد كانت تعطر الجو من العطر الذي أريق، كالعادة على السجادة.

أغلق بليك باب الخيمة، وأجلسها على الأرض برفق، ثم

غطاها بوشاح ناعم من الكشمير ووقف برهة يحدق فيها، إن الرجال يعتبرونها زوجته، فتمنى لو ان هذا صحيحاً.

فتحت أليكسا عينيها بتثاقل لتراه ينظر إليها فقالت هامسة: «ابتعد عني... إياك أن تجرؤ...»

حرك كلامها مشاعره، فجلس بجانبها ليقول بلطف: «انني أجرؤ على أي شيء يا الكسندرا، وأظنك أصبحت تعرفينني.»

قالت بيأس: «انك جبان... وغد.»

أجاب: «معك حق تماماً، فليس بإمكانك الدفاع عن نفسك يا عزيزتي وأنا وغد حقاً، لا تقلقي سأجد لنفسي سريراً في خيمة أحد أصدقائي الذين سيسرهم وجودي معهم، نامي ولا تفكري بي، ما دام يبدو انك تكرهين حتى النظر إليّ.»

لم تجب، ولكنها ظلت تحدق كان ثمة دموع في عينيها، فاستدار إليها وقال بعنف: «ما الذي يجعل المرأة تبكي دوماً فتهزم كبرياء الرجل؟ الكسندرا، انك مزعجة ...»

خرج بعد ذلك فرفعت يدها تمسح الدموع عن وجنتيها، وهي تحاول أن تعرف بالضبط نوع شعورها نحو بليك.

لم يكن لديها فكرة عن الوقت ولكن لا بد انه متأخر، وأخذت تجاهد لعدم الاستسلام للنوم وذلك بمخاطبة نفسها: عليّ أن أبقى مستيقظة، عليّ أن أدع جاك يساعدني على الهروب، ذلك أنني إذا لم أهرب من هذا المكان ومن هذا الرجل، فسأجن حتماً.

الفصل التاسع

استمرت الوليمة إلى ما بعد منتصف الليل، ولم يبق لبزوغ الفجر سوى ساعتين أو ثلاث، كانت النيران قد خمدت والرجال رقدوا مرهقين بعد تلك الوليمة، وكذلك الحيوانات، لكن الديك اطلق صيحته الأولى.

سمعت أليكسا هذا الصياح، فهي لم تنم حتى انها لم تسمح لنفسها بالجلوس على الفراش للراحة، وكانت من وقت لآخر تغسل عينيها بالماء البارد لكي تبقي نفسها مستيقظة، وعندما اطمأنت إلى ان بليك مستغرق في النوم، زحفت إلى خيمة النساء وعلى ضوء القمر وجدت ثياب الركوب التي كانت النساء قد اخذتها منها بعد وصولها، وهكذا عادت بها إلى الخيمة حيث ارتدتها لتعود مرة أخرى أليكسا المستعدة للرحلة في الصحراء.

بزغ الفجر يصحبه هواء بارد بعث الرعشة في اليكسا وهي تنسل خارجة من الخيمة، تذكرت رقة بليك معها الليلة الماضية وما لمسته من عاطفة منه، ولكنها لن تسمح لمشاعرها واحاسيسها ان تتدخل في ما تعتزمه هذا الصباح، وعندما ستصل إلى الفندق، ستخبر آل ويرل بكل ما تعرفه.

سارت بسرعة نحو مكان الاجتماع بجاك، اخذ قلبها يخفق وهي تمر بخيمة بليك. ونظرت نحوها عابسة وهي تفكر: «انه ذنبك يا بليك لاغام... انه نتيجة عملك...»

كان جاك يقف في انتظارها بجانب حصانه الأسود، كان حصاناً رائعاً، وحيا الفتاة هامساً بمرح: «صباح الخير يا آنسة، حظنا حسن، فلا احد حولنا.»

«هل ستأخذني إلى الفندق مباشرة، يا جاك؟»

انحنى لها باحترام كلي: «في خدمتك يا آنسة.»

ارتجفت قليلاً والهواء البارد يلفح وجهها، كان ضوء الفجر قد ابتدى ينتشر بينما اليكسا تهمس شبه خائفة: «كم من الوقت ستستغرقه الرحلة؟»

ابتسم محركاً كتفيه، كان يفكر في واد يبعد مسافة يوم كامل حيث يعيش فيه عمه العجوز، فقد قرر ان يأخذ الفتاة إلى هناك.

قال لها: «من الصعب الحكم، ولكن اعتمدي عليّ.»

انطلق قاطعاً مسافة طويلة، وسرعان ما تركا خلفهما مايك وبليك لاغام والذي كان مايزال نائماً دون ان تساوره الشكوك في اي غدر أو خيانة.

لكن أليكسا لم تكتشف غدر جاك إلا بعد فترة، فقد مثل دوره أثناء النهار بشكل جيد جداً، كان في منتهى الرقة والظرف وهو يتحدث اليها، كما كان في منتهى الاحترام لها، استراحا في منتصف النهار في واحة، وكان جاك يعرف كل متر من طريقه. وعندماكانت الشمس في قمة حرارتها تغديا معاً. وبعد ذلك نامت اليكسا، وعندما عبرت قبل ذلك عن خوفها من ان بليك والذي لا بد قد اكتشف الآن فرارها، ربما يكون وراءها، قال جاك: «الصحراء واسعة، والرياح تذري الرمال على آثار حوافر الحصان، فمن المستحيل على هاذل ان يقتفي أثرنا.»

سألته وهي ماتزال تشعر بالقلق: «ولكن ماذا سيقول والدك؟»

«انه لن يعبر الا عن القلق وسيندب الحظ لهرب ابنه مع زوجة هاذل. ولكنه لن يقدم أي عون لضيفنا.»

اخذت اليكسا تقلب الفكر في ما قاله، وكلما زاد تفكيرها في الأمر، ازداد عدم استحسانها لما فعلت، قد تكون تسرعت في التصرف، وبعد، ان ثمة فرقاً في ان تكون في الصحراء مع بليك، وبين ان تكون مع جاك، على كل حال لقد قطعت خط الرجعة الآن وعليها ان تثق به.

وكان صبرها قد أوشك على النفاد حين وصلا إلى مكان عمه وكانت هذه اقل انعزالاً من المكان الذي اتت منه.كما ان هذه كانت تقوم على مشارف واد، ما جعل المكان أشبه ببستان غني باشجار النخيل، كما كانت هناك حقول الشعير والعشب الأخضر، هذا الجمال لو كانت الظروف غير ما هي الآن، كان كفيلاً بان يخلب لب اليكسا.

رجال، نساء، اولاد كلهم جاؤوا للترحيب بجاك. ثم خاطب اليكسا بزهو قائلاً: «هذه الواحة الرائعة هي لعمي، انك ستحضرين هذه الليلة وليمة تتناولين فيها طعاماً لا مثيل له برعت في طهوه النساء.»

ولم تهتم اليكسا كثيراً بما قاله، بل قالت بخيبة أمل عميقة: «ولكن هذه ليست الطريق العام.»

«من المستحيل ان نصل إلى الطريق العام في يوم واحد.»

«كم يبلغ بعدنا عنها؟»

فهز كتفيه بشكل كان قد اخذ يضايقها: «من الصعب معرفة ذلك، ولكنك ستستمتعين بضيافة عمي.»

ولأول مرة يدخل الخوف الحقيقي إلى قلب الفتاة، فقالت بحدة: «لا أريد ان امكث هنا، يا جاك، من المهم جداً ان اذهب إلى الفندق.»

«هذا مستحيل فانت متعبة جداً، كما ان الشمس سرعان ما ستغيب، مازال امامنا يوم آخر كي نصل.»

فعضت شفتها: «يجب ان نكون هناك غداً.»

فقال برقة: «طبعاً.»

تملكت اليكسا شكوك كثيرة، فهذه البساتين الرائعة في الصحراء قد لا تكون في الطريق الصحيح. فإذا كان جاك سيخذلها، فلن يكون بامكانها أن تفعل شيئاً إزاء ذلك. ولا انسان حتى ولا بليك، سيتمكن من معرفة مقرها.

تملكها شعور بالغ بالتوتر والبرودة وهي تفكر في انها كانت حمقاء حقاً بمجيئها مع هذا الرجل. وإذا برجل عجوز بالغ الوقار يتقدم نحو جاك فيعانقه ويقبله على وجنتيه، وقال جاك لأليكسا: «هذا هو عمي.»

التفت عمه إلى اليكسا فبدا الفضول في ملامحه إزاء مظهرها الغريب في ملابس الركوب فقال شيئاً لم تفهمه ولكنه جعل جاك يضحك، فقالت: «هل اخبرت عمك بانك تأخذني إلى المدينة؟»

فقال: «نعم، نعم، طبعاً.»

شعرت بأن هذا الشاب يخادعها، فقالت له فجأة بصوت يبدو فيه الخوف: «لا اصدق بانك ستأخذني إلى هناك.»

خاطبها لأول مرة دون تكلف قائلاً: «لا تكوني سخيفة للذهاب إلى المدينة يا صغيرة، ان الإقامة في بساتين عمي أنيسة للغاية وسيقيمون لنا وليمة.»

سألته بلهجة هستيرية: «هل ستأخذني غداً إلى المدينة أم لا؟»

تلاشت ابتسامته: «لقد تعبت من ذكر ذلك دعينا نتكلم عن نفسينا فقط وعن السعادة التي سنجدها معاً.»

ادركت الآن انها خدعت وان اكثر اعمالها غباءً وتهوراً في حياتها هو وضع ثقتها بابن مايك المعروف بلقب الماكر. لقد أدركت مبلغ حماقتها في لحظة عذاب مدمرة، كان عليها ان تبقى مع بليك لاغام. فجاك لم يكن ينوي حقاً اخذها إلى المدينة، ومن المؤكد انه سيبقيها في هذا المكان رغم إرادتها وقد لا يكون بإمكانها ان ترى اهلها مرة أخرى.

اخذت تحدّق في جاك وقد تملكها الخوف واليأس معاً، كان قد عاد يبتسم، وهو يقول: «ان هاذل لم يكن يهمك.»

أخذت تفكر، لم يكن ثمة فائدة من الصراخ أو الهرب، كما ان مضايقة جاك هي أيضاً دون جدوى. فلم يبق لديها سوى شيء واحد وهو ان تتظاهر بقبول ما يعرضه عليها، ومن ثم تهرب فيما بعد أما كيف ومتى فلا تعلم. لماذا قامت بهذا العمل الجنوني؟

بالعودة إلى بليك، كانت الساعة السابعة صباحاً عندما اكتشف بليك لاغام غيابها.

لقد استيقظ على نباح الكلاب واصوات النسوة وهن يتناقشن باصوات عالية بينما يخرجن الماء من البئر، شعر في البداية بنعاس وثقل في رأسه، وعندما نظر إلى ساعته ورأى أشعة الشمس تتسلل اليه، أدرك ان الوقت هو الصبا قرر ان يأخذ اليوم الكلمة النهائية من مايك بالند

لحقول النفط ومن ثم يعيد أليكسا إلى المدينة ويضع حداً لمهمة هاذل الغامضة، وبعد ان تستقر كل هذه الأمور يستطيع عند ذلك ان يطلعها على الحقيقة.

اغتسل وارتدى ثيابه ثم ذهب إلى الخيمة التي ترك فيها الكسندرا نائمة. أول صدمة تلقاها هي ان وجد فراش أليكسا خالياً ثم عاد فافترض انها ربما ذهبت إلى خيام النساء ولكن بعد الاستعلام عنها في كل مكان لم يبق لديه شك في ان اليكسا غير موجودة وأن لا احد يعلم عنها شيئاً، وسرعان ما صار مؤكداً ان الكسندرا فوربس قد لاذت بالفرار.

كان أول ما شعر به بليك هو خيبة أمل شديدة المرارة، لقد سبق وحذرها في الواقع من الهرب ولكن لم يخطر بباله مطلقاً انها قد تفعل ذلك، ولذا لم يكلف نفسه عناء مراقبتها.

شعر بإحباط لا يوصف وخشي ان يجره عملها هذا إلى امور ليست لصالحه لا يمكن ان تكون ذهبت بمفردها لأنها لا تحسن ركوب الخيل. كما انها ليست من الحماقة بحيث تنطلق في هذه الصحراء على قدميها، إذن لا بد ان هناك شخصاً ما قد اخذها وقد ادرك انها ليست زوجته.

شحب وجه بليك لهذه الفكرة، فالتعقيدات التي ستنشأ الآن ستكون بدون نهاية. انها قد تؤدي إلى دماره هو والأسوأ من ذلك الكارثة لها، فمن كل الناس الموجودة في هذا الجزء من العالم عائلة مايك هذه كانت آخر واحدة يمكن الوثوق بها.

بعد فترة من التفكير، ذهب بليك إلى مايك طالباً مقابلته. رمق ضيفه بنظرة جانبية ماكرة بينما هاذل كان

يقول: «لقد اختفت زوجتي، ماذا تعلم عن ذلك يا مايك؟»

رفع حاجبيه بدهشة، من اين له ان يعلم ما حدث لزوجته؟ وطلب بليك ان يجرى التفتيش عن زوجته، كما انه طلب ان يتحدث إلى جاك.

حرّك مايك كتفيه، فليتكلم هاذل مع ابنه ومن يعترض على ذلك؟ فليذهب احد لابلاغ جاك بأن يحضر لسؤاله عما قد يعلم عن ذلك.

عند ذلك اكتشفوا غياب جاك، وفيما بعد حين اخذ بليك يفكر في الأمر أدرك بان مايك كان على علم طوال الوقت بأن ابنه قد ذهب مع الكسندرا ولكنه لم يفضح الأمر، وها هو بليك الآن يواجه مشكلة لم تكن بالحسبان، لقد وضعت الكسندرا ثقتها في جاك، وقد وعدها بان يأخذها إلى المدينة وربما يفي بعهده وربما لا. واذا هو لم يفعل؟

قدمت اكواب القهوة،ولكن بليك رفض بينما اخذ يتحدث مع مايك بسرعة وكانت نتيجة المحادثة غير مشجعة.

لقد شعر بالأسف العميق كما قال لهذا العمل المتعنت من ولده. لكنه اوضح بما انها ذهبت مع جداع بإرادتها فليس لديه ما يفعله إزاء ذلك.

شعر بليك بالتوتر وهو يستمع إلى ذلك السيل من الكلمات، كان الوقت يضيع بسرعة، ولكن وقتاً طويلاً مضى قبل ان يتمكن من ان يحمل مايك على الدخول في الموضوع الأساسي عند ذلك ألقى بأوراقه على المائدة.

وعندما انتهى الحديث، كان الرجلان قد انهكهما الحر وكانت نهاية اكثر من كريهة بالنسبة إلى بليك، ذلك انه كان عليه ان يختار بين الكسندرا فوربس وبين المهمة ذات الأهمية الكبرى التي جاء من أجلها، ليس ثمة حل وسط، وحتى لو لم تكن للفتاة اهمية لديه، فهو يكره التفكير في تركها لحماقتها، كان واثقاً من ان جاك لن يأخذها أبداً إلى المدينة، فيا لها من فتاة حمقاء مجنونة.

بعد فترة من الصراع العقلي اليائس قال: «فلتذهب المرأة انني لن اسبب لجاك أي أذى، وأنا انت سنوقع المعاهدة ونبقى صديقين.»

بدا السرور والارتياح على مايك وقهقه ضاحكاً ثم قال: «وما أهمية زوجة غير مخلصة؟ هناك نساء كثيرات وهنا توجد فتاة رائعة الجمال يمكنك ان تتزوجها وهي من عائلتي واذا أردت ان تراها...»

قاطعه بليك: «لم يعد لدي رغبة في النساء... دعنا نوقع.»

لكن مايك لم يكن مستعجلاً، فالمخادع يخاف من خداع الآخرين، إذا وقع المعاهدة، فقد يتابع هاذل ملاحقته مايك، من الأفضل إذن ان يجعل هاذل يعود إلى مقره حيث لا يمكنه من هناك الوصول إلى الهاربين، وكان مايك قد تكهن بأن ابنه لا بد وان ذهب إلى عمه.

كان بليك يرى وقد اكتنفه الضيق وخيبة الأمل، الصعوبات التي وضعتها الكسندرا في طريقه بعملها الجنوني هذا، عليه ان ينتظر الآن توقيع هذا العجوز، وان يعود من حيث جاء وبعد ذلك يزوره مايك هناك حيث يوقع المعاهدة. لقد اعطى كلمة الشرف ولم يشك بليك في وفائه لأن مبلغ المال

المتفق عليه منذ البداية كان اكثر مما يرضي جشع منزل ولكن ذلك كان يعني المزيد من التأخر.

طمأنه مايك قائلاً: «بعد ايام قليلة، سأحضر إلى منزلك لاستلم المال واسلمكم أرضي.»

اخذ بليك يفكر عابساً بانه بهذا يكون قد نجح نهائياً، لقد انجز ما جاء لأجله ولكن طعم الفوز كان له في فم بليك لاغام، هذا الصباح مذاق الرماد. ذلك لأنه مشغول البال بتلك الفتاة المجنونة المليئة بالبهجة. انه يقدم أي شيء يملكه في سبيل العثور عليها، فهو مسؤول عما حدث لها.

عندما وصلوا إلى أول مكان للراحة كان في اشد حالات الانزعاج، انه يفتقدها ويفتقد حتى شجارهما، ورفقتهما يفتقدها في كل حالاتها المزاجية. واخذ يتساءل عما اذا كان يحبها اكثر مما كان يتصور، وكلما ازداد تفكيراً في هذا الأمر كلما ازداد اكتئاباً، لقد افسد عملها الأحمق نجاحه وأرجأ اتمام خططه ولكن بقي شيء واحد مؤكد وهو ان الكسندرا ذهبت مع جاك لغرض واحد فقط، وهو للتغلب عليه. كان الأمر كله عشوائياً إلى درجة مخيفة وكل هذا كان نتيجة عدم اخبارها بالحقيقة.

اخذ يفكر فيها إلى ان ادركه التعب من ذلك، ولكن عندما توقفت جماعته لإمضاء الليل، كان قلقه عليها قد وصل به إلى حد الجنون، أين تراها هذه اللحظة؟

كانت احدى أسوأ الليالي التي مرت على بليك في حياته. لم يستطع اغماض عينيه. وربما كان وجد ذلك اكثر صعوبة لو انه كان يعلم بالضبط ما الذي كان يحدث لالكسندرا في هذا الوقت بالذات.

ذلك انها منذ ادراكها ان ليس في نية جاك اخذها إلى المدينة، اصبحت حالتها العقلية بشكل يرثى لها، لقد اخذت تلوم نفسها مرة بعد مرة لاستعجالها في ترك بليك لاغام.

كانت اليكسا مرهقة من تلك الرحلة الطويلة ومليئة بالمرارة وخيبة الأمل ما جعلها غير قادرة على التمرد على تلك المرأة المسنة التي وضعت تحت سلطتها كما رأت ان ذلك دون جدوى في الواقع، ما دامت كل منهما لا تفهم كلمة مما تقوله الأخرى. ولكن وضعها هنا كان مختلفاً عنه عند مايك حيث انها هناك قد استقبلت بصفتها زوجة هاذل وكرمت بصفتها ضيفة.

احضرت النسوة اليها ثوباً من قماش مخطط، وسترة قصيرة واسعة مطرزة بخيوط ذهبية.

سارت أليكسا نحو الباب وقد تملكها القنوط، تريد الخروج من هذا الجو الحار الذي لا يحتمل والخانق برائحة العطر الثقيل.

محاولتها للخروج من هذه الغرفة كانت دون جدوى، فالأبواب كلها مقفلة، وعندما حاولت فتح احداها جاءت سيدة تصيح بها غاضبة مشيرة اليها بالابتعاد.

اخذت تتساءل عما عسى ان يجري لها. كان عقاباً حسناً لمحاولتها التغلب على بليك لاغام. وشعرت المرارة وهي تفكر فيه، انه المسؤول عن كل هذا فهو الذي جاء بها إلى الصحراء، ربما هذه ستكون نهايتها. تذكرت بلدتها بيكنهام وعائلتها، فاغرورقت عيناها بالدموع.

كانت السماء مرصعة بالنجوم وضوء البدر يغمر المكان عندما غادرت أليكسا برفقة خادمة إلى جاك.

وقف جاك لدى دخولها ابتسم وقال:إنني معجب بك لأنك عدا جمالك، ذكية وذات شخصية.»

قالت بعناد:«أرجوك أن تكف عن هذا الهراء ولنتكلم بواقعية، أريد أن أذهب إلى المدينةو...»

فقال مقطباً جبينه:« أرجوك أن لاتفسدي علينا الأمسية، كما انني لا أفهم سر موقفك هذا مني. لقد طلبت مني أن أبعدك عن هاذل، ولا بد أن سبب ذلك هو انك أعجبت بي.»

اتسعت عيناها بحيرة بالغة لغرور هذا. وقالت:«إنني لم أظهر لك هذا أبداً. كل ماطلبته هو أن أعود إلى أصدقائي .»

قال برقة:« أرجوك أن لا تكوني حمقاء، ياجميلتي لا يمكن الذهاب إلى المدينة أثناء الليل.»

خفق قلبها وقالت:« هل تعدني بأن تأخذني إلى هناك غداً؟»

«ولكن ألا تحبين أن تبقي معي في أرض عمي الرائعة الجمال؟ ألا أعجبك؟»

«المسألة لا تتعلق بالاعجاب. فأنا لم أحضر معك لأجل هذا... إنك تعرف سبب حضوري.»

فبدا عليه التجهم:«هل هناك رجل تحبينه وينتظرك؟»

قالت غاضبة:«آه، لا تستمر في الحديث عن الحب، هناك أشياء كثيرة في العالم غير الحب.»

قال:«هذا صحيح بالنسبة إلى الرجال. ولكن بالنسبة للنساء الجميلات... ياحلوتي الشقراء، فليس هناك سوى الجمال، والحب، والشعر...»

قالت:« إنني أحذرك... أرجوك لقد سبق ووعدتني بأن

تأخذني إلى المدينة غداً، أرجوك. وأنا سأطلب من السيد ويرل أن يكافكئك.»

فقال: «اسمعيني... أعرض عليك الزواج مني. وسيقيم عمي لنا عرساً كبيراً. وبعد ذلك نعود إلى والدي وهو سيقبلك كنة له. وهذا سيكون شرفاً كبيراً لك.»

نظرت إليه بخوف. ولم تعرف بما تجيب. كان التشوش والتعاسة يكتنفانها معاً. طبعاً، هذه الفكرة غير معقولة بالنسبة إليها. ولكنها تدرك أن عليها أن تتصرف بحذر كي لا تجرحه. فالمهم عندها هو اكتساب الوقت لتتمكن من الهرب، وحتى ذلك الحين عليها أن تخضع قليلاً وتصده عنها.

لذا قالت إن عرضه للزواج منها يشرفها، من المستحيل عليها أن تقرر أمرها على الفور. ولكنها ستفكر في ذلك. وفي نفس الوقت، توسلت إليه أن يعاملها باحترام وصداقة. وأن يكون لها مكانها الخاص لتنام فيه. فهي لا تريد أن تبقى موضعاً لسخرية النساء ، كما كان الأمر منذ وصولها.

قال لها: «حسناً، ستعاملين كما يعامل الضيف العالي المقام، وسيكون لديك الوقت للتفكير. وسأرسل خبراً أيضاً إلى والدي بأنني سأعود إليه مع زوجة.»

سألته: «وهل... سيسره هذا؟»

«إنني ابنه البكر والمفضل لديه. وما أريده يريده هو.»

اخفضت نظرها لتخفي الذعر الذي بدا في عينيها وهي تقول: «فهمت.»

كان قد انضم إليهما عمه العجوز، وخلال وجبة العشاء الطويلة المملة، حاولت أليكسا أن تكون بشوشة. لم تشأ أن تجلس مكتئبة أو تشعر جاك مرة أخرى بخيبة الأمل، فإذا

جعلته يظن أن ليس في نيتها الاستجابة لذلك، فستكون العاقبة وخيمة.

لكن السهرة لم تجلب إلى نفس أليكسا سوى التعاسة، فالطعام اللذيذ الفاخر والموسيقى الشجية، كل هذا لم يفلح في تبديد حزنها. وعندما انتهت السهرة، قادوها إلى مسكن جديد. وجعلوا معها فتاة صغيرة السن لتخدمها. ولكن كل هذا زاد من حالة الفزع لدى أليكسا.

أمضت الوقت مفكرة في ايجاد حل لمشكلتها. لقد كانت في قفص مذهب من صنع يديها، فلو بقيت مع بليك لاغام لكان ذلك أفضل لها كثيراً.

كان النوم بعيداً عنها، وأخيراً وقفت قرب الباب مثقلة الأجفان. بينما كانت خادمتها الفتية راقدة.

في منزل العجوز كان جاك وعمه ما زالا جالسين معاً على الأريكة يتحدثان. كان جاك عابساً مقطب الجبين، ذلك أن الحديث، منذ انتهى العشاء وخروج وردته الشقراء، كان بعيداً عن رضى ذلك الشاب المدلل، فعمه كان سيداً حسن الفكاهة سهل القياد، ولكنه، في الواقع، كان شخصاً ذا قيم ومبادىء. وكان لا يعجبه أي انحراف، لذلك لم يوافق على زواج ابن شقيقه من فتاة اجنبية. قائلاً إن شقيقه مايك لن يوافق على ذلك أيضاً. وأن جاك يخطىء إذا ظن أن والده سيمنحه موافقته بسهولة.

جاء الصباح مبشراً بيوم مشرق آخر. ووقفت أليكسا عند الباب تنظر إلى النخل السامق الذي يموج برقة مع نسائم الصباح. ولم تستطع إلا وأن تعترف بأنها لم تر أجمل من هذا المنظر من قبل.

لقد تساءلت طوال الليل عما إذا كان بليك لاغام سيحاول البحث عنها، أم سيدعها تذهب في طريقها، وفكرت أيضاً في كيفية الهرب، لكن ذلك كان يبدو لها أكثر من مستحيل. فهي لا تستطيع إخفاء نفسها من بين هؤلاء الناس كما أن الفتاة التي تخدمها والتي كانت أحضرت لها لتوها القهوة والخبز وإناء عسل لكي تأكل، دوماً في أثرها. وقد أدركت أليكسا بمرارة، أنها جاسوسة لجاك. كلا. لن يمكنها الهرب في ضوء النهار دون أن يلحقوا بها. وحتى لو تمكنت من الهرب تحت ستار الليل فإلى أين تذهب؟ وكيف تقطع مساحات الصحراء الشاسعة سيراً على الاقدام؟

عندما جاء جاك لرؤيتها كان عليها أن تخفي يأسها وتتظاهر بالسرور أمامه.

اقترحت عليه أن يتمشيا في الأنحاء فأخذها جاك ليريها قرية عمه وطرقاتها الضيقة والبيوت الصغيرة وبساتين المشمش وأشجار الجوز والفاكهة الرائعة من كل نوع.

نظرت أليكسا إلى النساء وهن يعملن في البساتين وقالت: «لا أظن بإمكاني العيش مدة طويلة هنا. إن هذا يبعث الكآبة إلى نفسي.»

نظر إليها بطرف عينيه: «حسناً جداً يا عزيزتي. سنعيش في أوروبا. وسآخذك إلى باريس. إنني أتمنى رؤية باريس وستريننى أنت لندن وتقدميننى إلى أسرتك. إنني غني وبإمكاني أن أعطيك كل شيء.»

لم تجب، وعندما تعبت من السير، أخذها جاك إلى ساحة صغيرة كان فيها كراسي منخفضة فجلسا وتناولا القهوة، وأكلا كعكاً صغيراً ممزوجاً بالبهارات. لكنها لم تكن تشعر

هذا الصباح، بأي اهتمام بكل ذلك. بل كانت عيناها على الدوام شاردتين وخاطر واحد لم يغادر ذهنها، وهو... يجب أن تعود إلى المدينة.

أخذ جاك ينظر إلى رفيقته عابساً. كانت تبدو شديدة الشحوب هذا الصباح، وعيناها تحيط بهما هالة داكنة، وكأنها لم تعرف الرقاد. وتملكه غضب وغيرة، فقال: «إنك لست مسرورة معي، هل معنى ذلك أنك نادمة لتركك هاذل؟»

أسرعت: «كلا، كلا طبعاً.»

«إذن فأنت ما زلت تصرين على الذهاب إلى المدينة.»

امتلأت عيناها بالدموع، فالتفتت إليه وقالت ضارعة: «إنني غريبة في هذا المكان يجب أن تفهم هذا. ليس ثمة اشخاص من بلدي... سواك أتحدث إليه...» سكتت محاولة أن لا تبكي. إن كبرياءها تمنعها من البكاء أمامه.

«إنك لا تعرفين المجاملة يا آنسة.»

«إنك لم تفهمني.»

«بل أنا أفهمك. إنك تريدين الابتعاد عني. فأنا أبعث في نفسك الملل.»

نظرت إليه، فبدا لها مجروح الكرامة ومتضايقاً من موقفها نحوه. فقالت: «إن حياتي تختلف عن حياتكم، فلماذا تحاول أن ترغمني على الدخول في عالمك؟.»

كان هذا التوسل مكتوباً عليه الفشل منذ البداية، فقد زاد من انزعاج جاك، لكنه قال بمكر: «آه، أنا أعرف ما تقصدين. فأنا لست أحمق. عندما تصبحين مع أصدقائك لن يعود لك حاجة إلي. إنني لن آخذك إلى المدينة.»

جلست دون حراك. رأت أن آخر مخرج لها من هذا المكان

قد أقفل، وأن كل أمل لها في الهرب من قد تبدد. فقالت: «يبدو أنك لا تهتم بما أريد... كما أنك لا تهتم بمشاعري مهما كانت، ومع هذا تقول... إنك تحبني.»

«بل أنا أحبك يا عزيزتي. إن عمي ضد فكرة زواجنا، ولكنني سأتزوجك.»

وقفت قائلة: «يجب أن تمهلني لكي أفكر...» ثم أخذت تسير مبتعدة عنه دون أن ترى شيئاً. فلحق بها وقال: «لقد كان لديك وقت كاف للتفكير... وقت كثير. لقد تكلمنا كثيراً وأريتك جمال هذه البساتين الصحراوية. ورسمت لك صورة الحياة الرائعة التي سنمضيها معاً. ما الذي تريدينه أكثر من ذلك؟ كيف يمكنني أن أرضيك؟»

قالت بيأس: «خذني أولاً إلى حيث اريد. أتوسل إليك.»

فجأة، شعرت بضعف في قدميها، فقالت بصوت خافت: «أظنني سأمرض.»

نظر جاك إلى وجه الفتاة. كان شاحباً كوجوه الأموات، فاستولى عليه الرعب. كان يخاف المرض بكل أشكاله.

حملها إلى البيت الصغير الذي كان قد جهز لها والذي أمضت فيه ليلة البارحة، وأجلسها على الأريكة، ثم قال لخادمتها أن تهتم بها.

خرج عابساً يطلب مساعدة زوجة عمه للعناية باليكسا، قائلاً: «أريدها أن تشفى في أسرع وقت ممكن. قومي نحوها بكل ما يلزم. ولا تعطوها دواء قد يضرها.»

تمتمت زوجة عمه بالقبول. لم تكن ترغب في تمريض هذه الفتاة. ولكن عليها الامتثال لأوامر ابن مايك. وهكذا أتت إلى أليكسا بشراب ساخن من الأعشاب.

عندما استيقظت أليكسا في النهاية، كانت حرارتها مرتفعة وبدت مريضة للغاية. كانت ضربة شمس حقاً، كما كانت قد شخصت ذلك من قبل. جلست الخادمة وزوجة عمه عتيبة إلى جانبيها يمسكان بها حين حاولت هذه القيام من فراشها، وهي تهذي بلغتها الانكليزية التي لا يفهمانها. أخذتا تضعان كمادات باردة على جبينها، وعندما جاء جاك ليسأل عنها، قيل له ما ملأه خيبة أمل وهو أن الفتاة لن تتمكن من رؤيته أو التحدث إليه هذه الليلة. وانحنى فوق أليكسا فنظرت إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين دون أن تعرفه، وهي تنشج باكية وتقول: «والدتي... والدتي.»

تساءل عما يفعل. ثم قرر أن يعود هو إلى والده عند الصباح، تاركاً إياها هنا. إنها لا تستطيع الفرار وهي في هذه الحالة.

عندما استردت أليكسا وعيها، كان الليل قد هبط. رفعت أجفانها المثقلة لتجد نفسها في الفراش. كانت الخادمة تجلس بجانبها بصبر.

حاولت أليكسا الجلوس، ولكنها كانت من الضعف بحيث لم تستطع، فهمست: «ماذا جرى؟»

كانت أليكسا تشعر بألم حاد في رأسها، ولكن الدوار والغثيان قد ذهبا. تذكرت فجأة أنها سقطت مريضة أثناء تنزهها مع جاك كان الوقت ليلاً الآن. لا بد أنها كانت غائبة عن الوعي طوال النهار.

شعرت بجفاف في حلقها، وتاقت إلى شربة ماء، وعلى ما يبدو أن الخادمة قد شعرت بظمئها فأقبلت نحوها تحمل قدحاً فيه حليب بارد شربت منه قليلاً ثم عادت تستلقي.

عادت تتساءل: «ماذا عليّ أن أفعل؟ وماذا سيجري لي؟»

انحدرت على وجنتيها دمعتان. لشد ما تتمنى لو ترى بليك يدخل هذه الحجرة الآن.

جاءت إليها الفتاة بقطعة من الورق تريها اياها وهي تبتسم مظهرة أسنانها الرائعة. فأخذت أليكسا الورقة ورفعتها في الضوء وإذا بها تقرأ بعض كلمات كتبت بالفرنسية. وعندما قرأتها أدركت أنها من جاك. خفق قلبها وهي تدرك أيضاً أنه يخاف من الاقتراب منها خوفاً من أن يكون مرضها معدياً.

كتب يقول: إنني أكتب إليك لأقول وداعاً. فأنا سأرحل غداً عند الفجر إلى والدي. أتوسل إليك أن تفكري جيداً وتليني قلبك نحوي. فأنا أحبك يا جميلتي ولكنني لا أريد أن أجبرك على شيء. فكري جيداً ولا تفكري في الهرب لأنك تحت الحراسة.

بقيت أليكسا لحظة جامدة في مكانها، تفكر في هذه الرسالة. كانت سعيدة لرحيل جاك وبقائها هنا في أمان، لكنه سيعود عندما يصله الخبر بشفائها.

تدفقت الدموع من عينيها، إنها لم تشعر من قبل بمثل هذه التعاسة والقهر.

الفصل العاشر

عاد بليك إلى بيته وحده، عاد وهو يشعر بالانزعاج والقلق. بإمكانه أن يرسل إلى رؤسائه رسالة مختصرة يقول فيها بأن كل شيء على ما يرام. حقول النفط مضمونة، التوقيع النهائي في خلال ايام، ولكن بالنسبة إلى نفسه فهو فاشل، لقد كان أحمق إذ وثق بالكسندرا ولم يراقبها ما شجعها على الهرب، كان قد توقع نوعاً ما أن يجدها قد سبقته إلى الفندق، وافرغت كل حكايتها الجنونية لآل ويرل.

عندما أصبح في منزله استبدل ملابسه، ثم استقل سيارته ليسير بها بسرعة جنونية إلى المدينة. لقد عاد مرة أخرى بليك لاغام السيد الانكليزي الأنيق، بدا اسمر رشيقاً بعد رحلته الصحراوية، ولكن القلق كان يملأ عينيه.

كانت صورة الكسندرا فوربس تحتل كيانه عندما وقف في مدخل فيلا آل ويرل ينظر إلى الحديقة الرائعة، وتذكر آخر مرة كان فيها هنا، وحفلة الشاي التي قابل فيها الكسندرا التي أعجب بها وبشكل غير متوقع، أين هي الآن؟ أتراها وصلت إلى هنا قبله؟ أترى ابن مايك قد وفى بوعد واحضرها إلى هنا آمنة؟

في اللحظة التي دخل فيها غرفة الاستقبال الفسيحة ووقع بصره على السيدة ويرل جالسة هناك تتحدث إلى شاب ،في تلك اللحظة أدرك أن الكسندرا لم تصل بعد . ذلك لأنها وقفت تحييه وهي تهتف مسرورة: « آه بليك

إنك الشخص الوحيد الذي أردت رؤيته كيف علمت؟»

قال: «إنني مسرور لرؤيتك يا ماري ولطف بالغ منك أن تطلبي رؤيتي إنني لم أكن أعلم، ولكنني كنت أرجو ذلك.»

فسألته: «أين كنت في هذه الأثناء؟»

كذب قائلاً: «جولة عملية كالعادة...»

التفت إلى الضابط الشاب، بدا وجهه لبليك مألوفاً. عندما تابعت ماري ويرل حديثها خفق قلب بليك بشدة.

«بليك عزيزي... أقدم إليك دايفيد فوربس... إنك تذكر طبعاً تلك الفتاة الجميلة أليكسا فوربس حسناً هذا شقيقها ان مركزه حالياً في الاسكندرية، وهو الآن في اجازة، لذا جاء إلى هنا لأنه علم أن أليكسا تقيم في الفندق، ولكنها غير موجودة، وهو لم يعرف شيئاً عنها، إنه قلق عليها للغاية. وإذا شئت الحقيقة أنا أيضاً قلقة قليلاً. فهي تبدو وكأنها اختفت، ان الأمر غير عادي مطلقاً.»

بقي بليد جامداً في مكانه ثم صافح الشاب بشكل آلي، وكان هذا يشبه شقيقته إلى حد غريب.

قال بليك: «إنني طبعاً أتذكر شقيقتك جيداً.»

فقالت ماري ويرل: «اجلس ولنتناول الشاي.»

صفقت بيديها فجاء الخدم بالصواني ثم قالت ماري: «لا أظنك رأيت أو سمعت أي شيء عن أليكسا، يا بليك؟»

سكت برهة، ثم قال مرغماً: «كلا... بكل أسف.»

نظر دايفيد فوربس إلى بليك بقلق: «كل هذا غريب للغاية يا سيدي، لقد اتصلت هاتفياً بمقر شقيقتي في القاهرة طالباً التحدث معها حيث أن لدي إجازة اسبوع فقيل لي انها كانت مريضة ثم ذهبت بعد ذلك في اجازة.

فاقتفيت أثرها إلى الفندق ولكنهم أخبروني بأنها رحلت منذ أيام ولم تترك عنواناً.»

نظر بليك بعيداً شاعراً بعدم الارتياح، شعر بأنه وغد نذل وهو يرى قلق الفتى وخيبة أمله لعدم عثوره على شقيقته. كما تصور مبلغ سرور الكسندرا لو رأت شقيقها الآن.

كان في البداية قد فكر في أن يخبر الناس أن أليكسا قد عادت إلى القاهرة معه بعد تلك الحفلة، ولكنه ما لبث أن أدرك أن هذا سيقود إلى تعقيدات دون نهاية ولهذا من الأفضل أن ينفي كل معرفة له بمكانها وأضاف دايفيد: «قالوا لي أن رجلاً جاء وأخذ أمتعتها ورسائلها، ولكن ليس لديهم فكرة إلى أين أخذها. ماذا تتصور معنى هذا؟ وإلى أين يمكن أن تكون ذهبت؟»

قال بليك عابساً: «لا... أدري.»

سألته السيدة ويرل: «انت رأيتها يا بليك ليلة الحفلة أليس كذلك؟»

أجاب: «نعم.» وتجنب النظر في عيني دايفيد فوربس وهو يفكر في ما عسى أن يقول هذا الفتى لو أخبره بالضبط أين ومتى شاهد الكسندرا لآخر مرة... وأين هي الآن! وهذا السؤال الأخير لم يكن يعرف جوابه هو نفسه ولكنه كان ممتلئاً خوفاً... ذلك أنه كان لدى جاك ما يكفي من الوقت لكي يعيد الكسندرا لو كان سيفعل ذلك حقاً. وسمع صوت السيدة تسأله: «أظن تلك كانت آخر مرة رأيتها فيها....»

فعاد يجيب باقتضاب: «نعم.»

قال دايفيد فوربس: «المعذرة يا سيدي ولكن إذا كنت آخر رجل رأى أليكسا فربما أمكنك أن تتذكر ما إذا كانت

أليكسا قد ذكرت شيئاً عما ستقوم به في اليوم التالي.»

قال بليك: «نعم... دعني أتذكر آه... نعم لقد ذكرت بيروت.»

فقالت ماري ويرل: «نعم، لقد ذكرت لي أنها ستذهب لرؤية بيروت.»

سأل دايفيد فوربس بحيرة: «لماذا إذن لم تأخذ متاعها معها؟ ولماذا أرسلت شخصاً لاحضار حاجياتها؟ قالوا إنها لم تتناول طعام الافطار في الفندق ذلك الصباح، أو تحزم امتعتها. فكان على الخادمة أن تفعل ذلك لأجلها لقد كنت سألتهم عن ذلك.»

فقالت السيدة ويرل: «لم تتناول فطورها ولم تحزم أمتعتها، ما هو السبب يا ترى؟»

حاول بليك أن يجعل من الأمر مزحة فقال: «لقد أمضينا وقتاً ممتعاً في تلك الحفلة... وذلك إلى وقت متأخر...»

فقالت السيدة: «لا أظن ذلك يمنعها من تناول الفطور وربما كانت أرسلت ذلك الرجل ليحضر إليها أمتعتها، ولكنني لا أدري لماذا لم تحزم أمتعتها.»

عاد دايفيد يقول: «كما أن لا أحد في الفندق تذكر أنه رآها ترحل. كما أنني قمت بالاستعلام في المطار، أيضاً فقالوا أن أحداً لم يرها هناك.»

أخذ بليك يحدق إلى الأرض، كان شعوره بالضيق لا حد له، كان بإمكانه أن يجيب على كل أسئلتهم بسهولة، لكنه عاجز عن ذلك.

شعر بعجز ساحق عن مساعدتها أو مساعدة هؤلاء الذين يحبونها.

كان دايفيد فوربس يقول: «أظنها قد تكون في بيروت، أليكسا مستقلة الشخصية تماماً... فليس غريباً عليها أن يخطر ببالها فجأة الذهاب إلى بيروت فتذهب دون اخبار أحد.» والتفت إلى بليك متابعاً: «لا أدري ما رأيك يا سيدي في أن أذهب إلى بيروت للاستعلام عنها، أم لعل من الافضل أن أذهب إلى الشرطة؟ هذا إذا وافقتما أنت والسيدة ويرل، على أن في الأمر بعض الغموض بالنسبة إلى اختفاء أليكسا؟»

لم يجب بليك على الفور، ولكن السيدة ويرل قالت: «لا تقلق كثيراً يا دايفيد يا عزيزي... دع الأمر لبليك فهو ماهر في هذه الأمور أنه يعرف هذه البلاد جيداً، ويحترمه الجميع هنا.»

نظر دايفيد إلى بليك وسأله: «أتراك ستزعج نفسك بذلك، يا سيدي؟»

أجاب بليك بحدة تقريباً: «لا ازعاج في ذلك طبعاً.»

قالت ماري ويرل: «لا أظن هناك غموض حقيقي في هذا الأمر. فشقيقتك المشاغبة لم تفعل سوى ان رحلت دون ان تترك عنواناً وربما هي تستمتع بوقتها الآن في بيروت وربما في طريق عودتها إلى القاهرة.»

قال دايفيد: «آه، أليكسا تفعل ما يروق لها... وتكره أن تعامل كطفلة، وأنا أتوقع عودتها.»

فقالت السيدة ويرل: «إنني متأكدة من ذلك، اما اذا حدث لها أي شيء، فسيكون هذا أمراً مخيفاً.»

عبس دايفيد: «وما الذي يمكن أن يحدث لها؟»

تدخل بليك قائلاً: «علينا أن نفترض أشياء سيئة، دع

الأمر لي يا دايفيد سأحاول أن اقتفي أثرها لأجلك.»

فقال الفتى: «أشكرك جداً يا سيدي.»

تجنب بليك النظر إلى عينيه وسره تغير الموضوع من الكسندرا إلى السياسة، ووجد نفسه يناقش الوضع الحالي في الشرق الأوسط، ولكن ضميره كان يعذبه للتفكير في الفتاة، وكان يضع كل أنواع الخطط... مصمماً على العودة إلى منزله،ثم يرسل شخصاً يثق به إلى مايك سائلاً عن أخبار جاك والفتاة الانكليزية.

ترك منزل السيدة ويرل وقد تملكه القلق البالغ ولكنه كان يبتسم لها وهو يودعها، ثم يقول للفتى ببشاشة: «لا تقلق بشأن شقيقتك فهي لا بد تتكسع في مكان ما. وأنا سأقوم بالاتصال ببيروت، ثم اتصل بك. أين تسكن؟»

فقالت السيدة ماري: «إنني سأستضيف دايفيد إلى أن تعود أليكسا، فهو سيمل في الفندق.»

ابتعد بليك وقد عاد يعذبه الشبه البالغ بين دايفيد وشقيقته، فما أكثر ما كان يرى وجه الكسندرا وهو يحمر خجلاً.

أخذ يفكر في أنه أصبح مجنوناً بتلك الفتاة، وهي تعني له أكثر مما كانت فرانسيز تعني له.

كان يدرك وهو يخرج من منزل السيدة ويرل، انه يريد أن يعثر على الكسندرا فوربس ليس فقط لأجل شقيقها ولكن لأجله هو أيضاً.

عاد إلى بيته. ومرة أخرى استحال إلى هاذل سيد منزله، أخذ ينتقل من غرفة إلى أخرى والشك يكاد يقتله. أعد له طعام العشاء فلم يتناول منه سوى القليل. ولأول مرة في

حياته يفقد شهيته. ثم دخلت روزي تحييه وتسأله عن اخبار السيدة: «ألن تعود يا سيدي؟... الا تريدونني بعد الآن؟»

قطب بليك جبينه: «لا... أدري، يا روزي امكثي فترة أخرى إذا شئت، فقد تعود السيدة.»

شعرت روزي بالحيرة، ولكن احترامها البالغ له منعها من القاء مزيد من الاسئلة فخرجت من الغرفة وهي تتساءل عما قد يكون حدث للسيدة الجميلة والتي ذهبت إلى الصحراء مع هاذل ولكنها لم تعد معه.

ارسل بليك يطلب رئيس الخدم ثم سأله: «أي من الخدم تثق أنت به بشكل كامل؟»

فكر الرجل برهة ثم أجاب: «ان شارل هو شخص موثوق به.»

فقال بليك: «أرسله إليّ إذن.»

ثم جلس بليك يكتب رسالة إلى مايك وبعد أن ابتدأها بما يليق بسيد عجوز من التحيات والاحترام له ولكل أفراد أسرته، طلب منه بكل احترام أن يسأل ابنه عن مكان وجود الفتاة الانكليزية التي هربت معه لأن أهلها قلقون عليها ويقومون بالاستعلام عنها.

ثم سلم هذه الرسالة إلى شارل الذي كان رجلاً رصيناً قائلاً له: «سلم هذه الرسالة إلى مايك وعد بالجواب في الحال.»

وسرعان ما كان الرجل ينطلق في رحلته. وأخذ بليك يجول في حديقته وقد اكتنفته الكآبة وساء مزاجه.

خلال هذا النهار تلقى رسالة من مركز القيادة مكتوبة باختصار تحيي السيد لاغام لانجازه غير

العادي، مشيرة إلى أن ذلك يحمل إليه الاعتبار والترقية في المستقبل بعد أن يتم كل شيء.

في الأحوال العادية مثل هذه الرسالة كانت تشكل بهجة كبرى لبليك، ولكنه حالياً لم يشعر بسوى السخط والتعب، لم يكن يريد شيئاً سوى أن يعود شارل، وقبل أن يطمئن على الكسندرا، لن يعرف بليك الاستقرار ولا البهجة بانتصاره.

وعندما ذهب لزيارة السيدة ويرل. كان دايفيد فوربس ما يزال هناك، توترت اعصابه وهو يرى الفتى قد فقد اشراقه وبدا عليه الاكتئاب وبادر بليك بقوله: «ألا يوجد خبر مطلقاً عن أليكسا يا سيدي؟ ماذا وجدت أنت؟»

أجاب بليك باقتضاب: «لا شيء كثيراً.»

«انها ليست في بيروت اذن؟»

«هذا ما يبدو حالياً.»

«أين تراها تكون إذن؟ لا أفهم هذا، وستنتهي إجازتي يوم السبت، سيكون الأمر سيئاً جداً لو لم أرها، وبصراحة لا أدري ما سأقوله لوالدي. لقد كتبوا إليّ أن أخبرهم عن أحوال أليكسا. وحتى الآن لم أجرؤ على اخبارهم بأنها اختفت. ان ذلك سيسبب لهما ذعراً هائلاً.»

فقال بليك: «هذا طبيعي.» وكان التفكير في شارل لا يبارحه. فعاد يقول للفتى: «ولكن قد يكون لدي خبر لك غداً، فقد تحدثت إلى شخص في بيروت كان قد رأى فتاة لها مواصفات شقيقتك تتناول الغداء هناك.» لقد حمل نفسه على الكذب مرغماً لكي يريح الفتى.

هتف دايفيد: «آه هذا عظيم.»

سألته السيدة ويرل: «وأين ستكون أنت يا عزيزي؟»

أجاب: «إنني مقيم مع بعض الاصدقاء، ولكنني سأتصل بكما هاتفاً غداً مساءً.»

شكره دايفيد بحرارة وهو يقول: «إنك لا تتصور مبلغ قلقي.»

ضحك بليك بارتباك: «لا بد أنك كذلك، ولكن لا تدع القلق الشديد يتمكن منك، فالناس هنا يذهبون في رحلات في الصحراء، وقد تكون الكسندرا في مكان ما.»

قالت السيدة ويرل: «إذا لم يأت خبر عنها غداً، فسآخذ دايفيد إلى القنصلية البريطانية، ويجب علينا حقاً أن نقوم بتحقيق واسع في الأمر.»

ترك المنزل في حالة قنوط كامل، ستكون نكبة لو أن ماري ابتدأت تحقق في الأمر قبل أن يوقع مايك الأوراق.

بعد أربع وعشرين ساعة، عاد شارل من رحلته. كان بليك في انتظاره عند بوابة المنزل الخارجية، وقلبه يخفق خائفاً واستمع إلى شارل الذي لم يحضر سوى رسالة شفهية: «طلب مني مايك أن أخبرك يا سيدي، بأن ابنه قد عاد وأن المرأة الانكليزية لم تعد معه، لقد رافقها إلى المدينة وبعد ذلك لم تقع عيناه عليها مرة أخرى، وهذا كل ما يعرفه عن الأمر.»

ان بليك يعلم جيداً أن جاك لم يعد مع أليكسا، وأن هنالك نوعاً من الخداع. ولكن أين تلك الفتاة السيئة الحظ؟ أين؟

الفصل الحادي عشر

فقدت اليكسا حساب الأيام. كم من الزمن أمضت في هذه القرية؟ كم من الزمن مضى على ترك جاك لها هنا؟ هذا ما لا تعرفه. لقد توقفت ساعتها أثناء مرضها فلم تعبأ بتحريكها مرة أخرى. لم تعرف في أي يوم من الأسبوع هي، أو في أي شهر.

كانت أحياناً تتذكر الماضي، بيتها، والديها واشقائها، كانت تتصور أحياناً نفسها معهم يتحدثون ويضحكون بمرحهم القديم وخلو بالهم. لكنها سرعان ما تنظر حولها، وتدرك أين هي، فتأخذ في البكاء.

كانت تعرف مرور الأيام من شروق الشمس وغروبها. لم يكن لديها شيء تعمله. وعندما كانت تحس بشيء من النشاط، كانت تحاول ان تتمشى في الطرقات ولكن سرعان ما كان يعود إليها الشعور بالمرض والحزن فتعود إلى البيت.

كان أشد ما يسبب لها التعاسة في أسرها هذا، هي الوحدة. رأت نفسها تسير نحو الجنون ببطء، لأنها لم تكن تتحدث مع أحد. ليس ثمة من يفهم لغتها.

لقد وصلت أليكسا إلى حد تاقت معه حتى إلى عودة جاك، مهما كان ذلك يعني بالنسبة إليها. يجب أن تتحدث إلى شخص ما، لكن جاك لم يعد.

كان تفكيرها في بليك لاغام يتراوح بين الشوق

والاشمئزاز. كانت تشعر بأنها تريده اكثر من أي شخص آخر،ومع ذلك كانت تكرهه. فهو السبب في ما آلت إليه حالها، ثم تركها لمصيرها المخيف... إنه لم يهتم باللحاق بها. ربما كان الذنب ذنبها لهربها منه. ولكن اللوم الأساسي يقع عليه.

تأوهت اليكسا وجلست في فراشها. لقد عادت إليها الحرارة، وكذلك الدوار.

هتفت لاهثة: «بليك... بليك، تعال وانقذني.»

ثم عادت تستلقي على وسادتها والدموع تغسل وجهها، وأخذت تشهق بعنف.

جاءت الخادمة راكضة ثم نظرت إلى اليكسا بخوف وقلق، فكرت الخادمة في أن السيدة المسكينة إذا بقيت بهذا الشكل فستموت حقاً.

لذا ذهبت تحضر ماء بارداً وخرقاً لتخفف عنها الحمى. فقدت وعيها مرة أخرى، وما لبثت أن فارقتها الحرارة تدريجياً.

ازدادت الأيام حرارة، فقد ابتدأ فصل الصيف. كان الجو حاراً لدرجة لا تحتمل بالنسبة إلى اليكسا. لقد أصبحت نادراً ما تغادر سريرها هذه الأيام، ولا تخرج من المنزل على الاطلاق. كما أنها توقفت عن التفكير تقريباً.

وما زال جاك غائباً. لكنها لم تعد تبالي، لم يعد يهمها شيء بعد الآن. لا شيء لقد اصبحت ميتة بالنسبة للعالم الذي عرفته. لا بد أنهم في القاهرة، قد انتبهوا إلى غيابها.

سيبدأون بالاستعلام، ولكن بليك لاغام لن يخبر أحداً أبداً بما حدث، وهكذا لن يتمكن احد من العثور عليها. انها

ستختفي من حياة كل أولئك الذين احبوها. مسكينة والدتها فالأسرة ستبكيها بصفتها ميتة.

في الواقع، لم يعد للحياة من معنى لدى اليكسا. واستيقظت ذات صباح، فسارت نحو الباب ببطء وكانت ترتدي ثوباً من القطن كانت الخادمة قد أعطتها اياه، كان وجهها بالغ الشحوب، كما كانت قد أصبحت نحيلة للغاية، حتى لم يعد من جمالها المليء بالحيوية الا القليل.

اتكأت إلى الباب وأخذت تحدق إلى الخارج. كانت الصحراء تمتد أمامها إلى الأفق. وكانت النساء يحملن جرارهن نحو الآبار.

كانت تشعر بصداع، صداع يعتريها منذ أيام.

فجأة، لاح لها اشخاص من بعيد، اخذت تراقبهم بفتور، وما لبثت ان ادركت انهم فرسان. وعندما ازداد اقترابهم من مكانها اخذت تدرك تدريجياً انهم رجال في بزات رسمية.

كانت الجياد تقترب بفرسانها شيئاً فشيئاً حتى صار بإمكانها تمييزهم. كانوا رجالاً ببزات عسكرية ويحملون بنادق وعلى رؤوسهم قبعات عسكرية فرنسية يرتديها جنود فرقة المتطوعين الفرنسية. واخذت اليكسا ترتجف. هذا يعني ان بإمكانها التحدث إليهم.

جاءت إليها الخادمة من خلفها تقدم اليها صينية الافطار المعتاد والمؤلف من الخبز والقهوة والعسل والفاكهة. ولكن اليكسا لم تنظر إلى ذلك، بل اخذت تركض خارجة من البيت وقد اشتعل في عينيها أمل عنيف، ركضت ناحية أولئك الفرسان فتعثرت أثناء ركضها لضعف

ساقيها. وصرخت بأعلى صوتها بالفرنسية: «النجدة. النجدة إليّ، إليّ يا سادة.»

عليها أن لا تدع هؤلاء الفرنسيين يفوتونها، مهما حدث، يجب أن تصل إليهم قبل ان يتدخل احد في أمرها ويمنعوها.

من حسن الحظ أن هذه المجموعة الصغيرة من الجنود في فرقة المتطوعين الفرنسية كانوا قد تاهوا في الصحراء اثناء عملية استكشافية وما لبثوا أن وجدوا انفسهم في هذا الوادي، فتوقفوا ليحصلوا من السكان على طعام وماء ثم ليهدونهم إلى مقر قيادتهم.

خرجت القرية باكملها لاستقبال الجنود، مبتهجين بمنظر البزات العسكرية.

كان الضابط الشاب الذي يتقدم تلك المجموعة الصغيرة قد تعكر مزاجه من حرارة الجو والغبار. لقد فقد بوصلته فأضاع أربع وعشرين ساعة في محاولة العثور على طريقه ولم ينجح. كما أن الطعام والماء لديهم قد أخذ بالتناقص، ولذا كان سرورهم بالغاً لاكتشافهم هذا الوادي، إذ أصبح بإمكانهم أن يتبعوا مجرى النهر في أسفل الوادي، فيجدوا طريقهم مرة أخرى.

قال احدهم: «خذنا إلى رئيسكم، إننا بحاجة إلى طعام وماء.»

اسرع الرجل ممتثلاً لطلبه.

كان ضابط شاب آخر يسير بجانب الأول، فقال له: «لقد تعبت من الصحراء، يا غاستون. من حسن الحظ ان وجدنا هذا المكان. إنه رائع بكل هذه الأشجار والأزهار، أليس كذلك؟»

أجاب غاستون: «نعم، إنه كذلك.»

فجأة، شق السكون صرخة ثاقبة: «النجدة. إليّ، يا سادة، إليّ.»

هتف راؤول وقد شحب وجهه: «ما هذا؟ هل سمعت ذلك. يا غاستون؟ إنه صوت امرأة تتكلم بلغتنا.»

نظر غاستون بحدة من بين الناس المحدقين بالجياد. فلم ير شيئاً، ولكن راؤول هتف يقول: «آه، تلك هي. إنها امرأة بيضاء ذهبية الشعر... من عساها تكون؟»

فهز غاستون كتفيه. وقال دون مبالاة: «سنسأل عنها.»

فقال راؤول وهو يبحث بعينيه المتعبتين حوله: «لقد كنت شاهدتها.. ولكنها اختفت الآن.»

كان قد شاهد اليكسا تتخبط بين أذرع خادمين. ذلك أن العجوز كان هو أيضاً قد لاحظ قدوم الجنود الفرنسيين فأرسل حارساً إلى منزل اليكسا. لقد خشي من أن يسقط غضب ابن شقيقه على رأسه إذا سمح للفتاة بأن تهرب قبل عودته.

وما أن خيّل إلى الفتاة أن أولئك الجنود قد رأوها وسمعوها حتى كان الخادمان قد أمسكا بها.

عندما عادا بها مكممة مقيّدة إلى سريرها، واقفلا الباب خلفها بالمفتاح، كان يأسها مخيفاً. جلست ذاهلة وقد اكتنفت روحها خيبة مرة. ومع مرور الساعات، كانت قد فقدت كل اهتمام وكل أمل في النجاة.

رحب العجوز بضيفيه الضابطين واكرمهما قدر إمكانه، فأثقلهما بالهدايا من الأطعمة وسلال الفاكهة يحملاها معهما في رحلتهما. ثم اشار راؤول الى غاستون على أن

يسأل العجوز عن تلك الفتاة ذهبية الشعر التي صرخت بالفرنسية تطلب النجدة.

ابتسم العجوز بلطف، وأخذ يمر بيده على شعره وهو يتمتم بأن الضابط كان مخطئاً، فليس في هذه القرية امرأة ذهبية الشعر. ولكن هناك فتاة المانية نصف مجنونة تتكلم شيئاً من الفرنسية. وربما كانت هي التي سمعاها.

اكتفى غاستون بهذا التعليل. ولكن هذا لم يكن شأن راؤول. وبعد ان استأنفا رحلتهما عائدين إلى مقرهما، عاد راؤول يتحدث عن الفتاة مرة أخرى قائلاً: «إنني واثق من انها ليست المانية فلكنتها كانت انكليزية كما خيل إليّ. لقد سمعتها يا غاستون.»

لكن غاستون هز كتفيه قائلاً: «كلام فارغ، إنها مجرد تصورات منك.»

فسكت راؤول.

وفي تلك الليلة، بعد اثنتي عشرة ساعة من السير الشاق، وصلت مجموعة الجنود تلك إلى مقر القيادة، وذهب راؤول في اجازة. ابتدأ تلك الاجازة في المدينة وصدف ان مكث في نفس الفندق الذي نزلت فيه اليكسا في الماضي، وأثناء جلوسه على الشرفة في تلك الليلة نفسها، وقعت عيناه على رجل في بذلة رمادية يجلس وحده، فعرف فيه الديبلوماسي الانكليزي بليك لاغام. وكان راؤول قد قابله من قبل عدة مرات، فانتقل إلى مائدة بليك ودعاه إلى مشاركته شرابه.

قبل بليك دعوته دون حماسة، فقد أصبح هذه الأيام رجلاً كئيباً. لقد مضى الآن شهر كامل على غياب الكسندرا فوربس. وقد ابتدأ دايفيد فوربس والسيدة ويرل

بتحقيقاتهما. وقد أرغم دايفد على العودة إلى مقره دون أن يظفر بأي خبر عن شقيقته. وكان بليك في حالة اضطراب عميق، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة، ذلك لأن مايك لم يوقع المعاهدة بعد.

أخذ بليك يتحدث إلى الفتى راؤول بفتور لفترة ثم استأذن بالذهاب، فقد كان عليه ان يحضر في منزله اجتماعاً مع احد القادة. فقال راؤول: «لقد صادفني هذا الصباح أمر غريب، يا سيد لاغام، وأريد ان ابحثه معك.»

قال بليك باقتضاب: «أسرع إذن، يا صديقي.»

اخذ راؤول يصف ما حدث له ولغاستون في الصحراء. وكيف تاها وانتهيا في قرية كانت أروع من أي شيء. ثم تحدث عن الفتاة ذهبية الشعر والتي صرخت تطلب منهما النجدة، ولم تلبث أن اختفت.

«مازالت صرختها تلك في أذني منذ ذلك الحين، يا سيدي إليّ... إليّ... النجدة.» لقد قال رجل هناك انها فتاة المانية مخبولة. إنني اعتقد أنها انكليزية. ولكن غاستون يقول: «إنني أنا المخبول إذ ماذا تفعل فتاة انكليزية في تلك القرية النائية؟» وأنهى راؤول حديثه ضاحكاً.

ساد صمت، ولم تعبّر ملامح بليك عن شيء، وكأنه لم يسمع قصة الضابط. ثم إذا به فجأة يمد يده ويقبض على ذراع الفتى، قائلاً: «ماذا؟ فتاة ذهبية الشعر تتكلم بلكنة إنكليزية؟ أين يا رجل أين؟»

حدق راؤول إليه قائلاً: «في تلك القرية يا سيدي. إنها تبعد عن المدينة قرابة الاثنتي عشرة ساعة على ظهر الخيل.»

قفز بليك وقد شحب وجهه الأسمر. فتاة ذهبية الشعر

تتكلم الفرنسية بلكنة انكليزية. انها الكسندرا لا شك في ذلك.

سأله: «ماذا حدث لها؟ ألم تعرف؟ ألم تتأكد بنفسك منها؟»

بدا على راؤول الارتباك:

«لقد ظن غاستون أنني مخطىء. فقد قال الرجل العجوز انها فتاة مخبولة... وهكذا...»

انفجر بليك بعنف: «أين ذلك المكان؟ هل بإمكانك أن تعثر عليه مرة أخرى.»

«أظن ذلك يا سيدي، وذلك باتباع النهر.»

فقال بليك: «حسناً، إذن يجب عليك ان تأتي معي الآن. يجب أن نتحرك في الحال. لم تغرب الشمس بعد. وبعد حلول الظلام سنتابع طريقنا على ضوء القمر. يجب ان تأخذني إلى هناك. علي ان اتأكد مما اذا كانت تلك الفتاة التي صرخت تطلب النجدة المانية أم انها تلك الفتاة الانكليزية التي تبحث القاهرة بأجمعها عنها.»

نظر راؤول إلى بليك لاغام بحيرة، ولكنه ما لبث ان نهض وهو يهتف: «إذن، فقد كنت أنا على حق. لقد كانت لهجتها انكليزية يا سيدي. ماذا يعني هذا؟ من هي تلك الفتاة؟ ما الذي تفعله في تلك القرية المنعزلة؟»

كان قلب بليك يخفق بشدة، وأخذ ذهنه يعمل بسرعة. لقد سبق وقال الكثير لهذا الضابط الشاب وعليه أن لا يقول المزيد فإذا كانت الفتاة التي يتحدث عنها راؤول هي الكسندرا، إذن فسيعثرون عليها وينقذونها. ولكن ما زال من الضروري أن تبقى القصة بكاملها طيّ الكتمان إلى أن يوقع مايك المعاهدة.

وضع يده على كتف راؤول، قائلاً: «أريدك ان تتضع ثقتك بي، يا صديقي، ولا تلق أي سؤال. لا استطيع ان اخبرك بشيء عن تلك الفتاة إلا انها... اخطأت بوضع ثقتها بشخص وهربت معه، انها مفقودة منذ اكثر من شهر. فإذا نحن تكلمنا بما ننوي القيام به، فلن نجدها أبداً. إنني اطلب منك ان تأتي معي لننقذها بينما تبقى صامتاً. هل يمكنني الاعتماد عليك؟»

تألقت عينا راؤول. كان شاباً ظريفاً مولعاً بالمغامرات.

قال: «يمكنك ان تثق بي، يا سيدي. إنني في خدمتك. متى نبدأ المسير؟»

تنهد بليك بارتياح، فأشار إلى النادل حيث دفع له الحساب، ثم غادر المكان مع راؤول وهو يقول له: «الآن، حالاً، اسمع لديّ سيارة هنا. إنني سآخذك إلى... منزل أحد اصدقائي... وهناك نغير ملابسنا. فهذا ضروري لقد سبق وقلت ان المكان يبعد عن المدينة اثنتي عشرة ساعة وان بإمكاننا الوصول إليه بمحاذاة النهر بعد وصولنا إلى أول واحة؟»

«نعم يا سيدي.»

قال بليك: «هذا حسن. ادخل السيارة يا راؤول، فسأقود بالسرعة القصوى.»

انطلقت بهما السيارة في الشوارع الضيقة واطلق راؤول لخياله العنان فوصل إلى نتيجة هي ان تلك الفتاة الانكليزية هي حبيبة بليك لاغام.

وفي هذه الأثناء، كان بليك يتحرق شوقاً للوصول إلى القرية والعثور على الكسندرا. ولكن كان في ذهنه

افتراضان. فإذا كانت تلك الفتاة التي صرخت تطلب النجدة، منعت من التقدم نحو الجنود، فالأمر إذن سيء للغاية. يبدو انها تلقى منهم معاملة سيئة. أما الافتراض الثاني فهو انها قد تكون حقاً فتاة مخبولة تلك التي صرخت تطلب النجدة.

عندما اصبح في منزله، لم يضيع الوقت. فأمر رئيس الخدم بأن يجهز عدداً من الرجال المسلحين وذلك للقيام برحلة في الصحراء مع راؤول قائداً لهم.

سرعان ما تحول بليك لاغام إلى شخصية هاذل. كما أن راؤول غير ثيابه هو أيضاً. نبهه بليك إلى ان يبقى صامتاً طوال الوقت حالما يصلون إلى القرية، وان يترك الكلام كله له هو.

فقد قال له: «إذا هم اكتشفوا شخصيتك، فسيخفون الفتاة عنا، وقد نصادف متاعب.»

تنهد راؤول: «يا ليتني اعرف شيئاً من قصتك يا سيدي، ولكن عليّ ان لا اسأل.»

اجاب بليك باقتضاب: «كلا، لا تسأل الآن... سأوضح لك كل شيء فيما بعد، يا راؤول.»

عندما شرعت تلك المجموعة في تلك الرحلة، وبليك وراؤول في المقدمة، كان ضوء القمر يغمر المكان.

أخيراً، وصلوا إلى النهر في الوادي، وبعد ذلك قال راؤول: «لا بد ان المسافة من هنا تبلغ الستة أميال. هل نظهر انفسنا للرجل العجوز على الفور؟»

قال بليك: «كلا. ان خطتي هي عندما نصل إلى مشارف القرية، يمكنكم انت وبقية الرجال ان تناموا حتى الفجر. اما انا فسأدخل القرية وحدي لأرى ما استطيع عمله.»

«هذا حسن.»

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير عندما وصلت المجموعة إلى القرية.

أشار بليك بيده، فأوقف الرجال جيادهم دون احداث ضجة.

اعطى بليك الأمر بالترجل، فاقترب رئيس الخدم منه ينتظر الأوامر. قال بليك: «انك ستبقى هنا مع الضابط، فإذا انا لم أعد خلال ساعتين، ادخلوا وفتشوا المكان إلى ان تجدوني. لديكم ذخائر كثيرة، ومثل هؤلاء الناس لا يكون لديهم عادة سوى القليل، وسيخافون منكم اذا انتم اثرتم ضجة كبرى. ولكن قد لا يكون ثمة ضرورة لذلك. فانتظروا عودتي هنا.»

نظر راؤول إليه بقلق: «هل ستكون بخير يا سيدي؟»

ابتسم بليك قائلاً: «نعم، فاكثر هؤلاء الناس يعرفونني. ويخيل إليّ ان حديثاً رقيقاً مع العجوز سيكون كافياً. ولكن قبل ان اراه، اريد ان اتأكد مما إذا كانت تلك الفتاة هي من ابحث عنها.»

قال راؤول: «هذا حسن، يا سيدي.»

دخل بليك إلى القرية، ولم يكن يجهل ما ينتظره. فهو لم يسبق ان قابل شخصياً، والذي كان يعتبر عجوزاً غير مؤذ. ولكنه كان شقيقاً لمايك وهذا يعني ان مهمة بليك كانت صعبة وتتطلب مهارة خاصة. فإذا كان يحتفظ بالكسندرا لأجل جاك، فلن يكون من السهل اخذها.

سار خلال أزقة ضيقة بين تلك المنازل إلى أن وصل إلى السوق فاجتازه إلى أن وصل إلى منزل يحيط به

بستان جميل . وأدرك أن هذا منزل العجوز نفسه.

كانت الطرقات تبدو مظلمة موحشة ولكن القمر كان يلقي ضوءه الباهت على الأماكن المكشوفة فيها بينما السكون يعم المكان، فقد كانت الساعة التي تسبق الفجر، وهذا يعني ان الجميع، رجالاً ونساءً وأولاداً، كانوا نائمين.

سار بليك بخفة ونظراته السريعة تلاحظ كل شيء. قد تكون الفتاة ذهبية الشعر في أحد هذه المنازل. كل ما يريد الآن، هو ان يجد شخصاً يمكنه التحدث إليه، شخصاً قد يكشف له بعض المعلومات التي تفيده متى اقبل النهار.

وجد الشخص المطلوب في شحاذ أعمى كان مستلقياً خارج احد الحوانيت تحت شجرة. ثم اشعل سيكارة متعمداً أن يحدث أكبر قدر مستطاع من الجلبة، فجلس الشحاذ العجوز بسرعة وسأل بصوت مرتجف عمن هناك.

حياه بليك باحترام.

أدار العجوز عينيه في اتجاه بليك: «كم الساعة الآن؟»

أجاب بليك: «ما زال هناك ساعة على الفجر.»

ارتجف الرجل العجوز ثم تثاءب: «انك شاب قوي. فما الذي يجعلك ترقد في الخارج مع امثالي؟ لقد اخذ الموت زوجتي كما اخذ الوباء ابنائي. واناالكبر سناً من ان استطيع العمل كما اني لا املك منزلاً يأويني.»

تمتم بليك: «وأسفاه يا والدي لحظك هذا. صحيح أنني

شاب وقوي، ولكنني جئت حديثاً إلى هذه البساتين بحثاً عن عمل.»

«يوجد عمل كثير هنا، ذلك ان عجوز القرية قد زاد عدد الفدادين التي يغرس فيها البطيخ، ما يستلزم الكثير من الحفر والسقي. ولكنني اكبر سناً من اي اقوم بعمل كهذا.»

«أي نوع من الرجال هذاالعجوز يا والدي؟»

«انه عادل، عادل يا بني. يقولون انه اصبح نحيل الجسم وغداً العيد، فعسى ان يستعيد صحته.»

نعم غداً العيد، وسيقوم مايك بزيارته الموعودة لهاذل في منزله. لقد اقتربت ساعة الفوز. والآن لو انه فقط يعثر على الكسندرا لكان كل شيء على ما يرام. وعاد يسأل الرجل العجوز: «انني لم اتزوج بعد، يا والدي وربما أتزوج من هنا، وأمضي بقية حياتي في هذه البساتين. اخبرني هل هناك كثيرات من الفتيات الجميلات في سن الزواج.»

«وأسفاه، يا بني، فأنا اعمى لا يمكنني رؤيتهن.»

سأله بليك بصبر فارغ: «ولكن لا بد انك سمعت شيئاً عن ذلك.»

«نعم، يا بني. سمعت ان هناك كثيرات من الفتيات الجميلات.»

«هل هن جميعاً من هنا؟ أم هناك شقراوات؟ انني احب الفتيات البيض.»

سكت الرجل العجوز للحظة، بينما انتظر بليك جوابه بصبر وأخيراً قال العجوز: «لا يوجد نساء هنا، يا بني.»

قال بليك باصرار وجدية:«ولكنني احب النساء الشقراوات.»

اذاً، العجوز على الضابط الفرنسي. فتلك الفتاة التي سمعها تصرخ لم تكن المانية.

ثم قال الاعمى فجأة: «ان ابن شقيقي الذي يعمل في ذلك الحانوت هناك، اخبرني بان هناك امرأة هنا لها عينان زرقاوان، وقد رآها مرة أو اثنين. انها ناصعة البياض وشعرها كالذهب.»

حاول ان لا يظهر اهتمامه بالأمر وهو يقول: «أحقاً؟»

«نعم. ولكنها لا تصلح لك، يا بني. فالمسكينة مجنونة، وهي هنا في حماية سيد القرية.»

«ما هو نوع جنونها، يا والدي؟»

«لا ادري. فانا أعمى لا استطيع رؤيتها. ولكن ابن شقيقي رآها. انها نحيلة جداً وتتكلم بلغة لا يفهمها احد كما انها ذات عينين زرقاوين تصيبان بالحسد.»

قال بليك: «هذا غريب، يا والدي... امرأة زرقاء العينين ذهبية الشعر؟ متى وصلت الى هنا؟»

«لا تسألني اكثر من ذلك، أريد ان أنام.»

قال العجوز ذلك بحدة، ثم أدار ظهره إلى بليك رافضاً ان ينطق بكلمة أخرى.

وقف بليك وقد ازداد حماسة، لقد علم على الاقل، من ذلك الشحاذ العجوز ان الكسندرا هنا.

سار مبتعداً عن الرجل العجوز، لم يعد ثمة معلومات يمكنه ان يستخلصها منه. كان ذلك واضحاً. ولكن اذا كانت السكندرا في هذه القرية، فهو سيجدها حتماً.

كان الصبر هو المطلوب، اماالآن فعليه ان ينتظر بزوغ الفجر.

عاد بليك إلى رجاله الذين ينتظرونه، فاستلقى بجانب راؤول وهمس يقول: «انها هنا، وهي ليست المانية، ولكنها الفتاة التي أبحث عنها. انني واثق من ذلك.»

أجابه هذا همساً: «ما الذي علينا أن نقوم به الآن؟»

«النوم... حتى الصباح. وبعد ذلك أذهب مرة أخرى إلى أولئك الناس. إن لدي خطة. عد إلى النوم، يا راؤول، فانت لن تنتظر طويلاً.»

أومأ راؤول برأسه، وسرعان ما استغرق في النوم. لكن بليك لم يغمض له جفن. لم يستطع ذلك.

عندما بزغت أولى خيوط الفجر، عاد بليك إلى القرية وحده.

كانت القرية الآن قد استيقظت وابتدأت جلبة النشاط اليومي للانسان والحيوان.

داخل ساحة السوق، والتي ازدحمت الآن بالباعة والزبائن، سار بليك. كان يبدو رائعاً، واستقطب الاحترام على الفور من كل من شاهده. عند ذلك اخذ بليك يتحدث إلى واحد أو اثنين من السكان الذين كانوا تجمعوا في الشمس يتحدثون.

قال لهم بصوت عال تعمد ان يظهر فيه الغضب: «أريد ان اطلب مقابلة مع عجوز القرية. لقد نظرت المرأة ذات العينين الزرقاوين إلى ابني فأصابته بالعين وهو الآن مريض بالحمى. يجب ان تطرد من هذه القرية.»

أومأ احد الرجال برأسه بعطف: «معك حق، يا

شقيقي، لقد رأيت بنفسي هذه المرأة وشعرت بنظراتها الشريرة.»

قال رجل آخر: «كما أنها دميمة.»

فسأل بليك: «وأين تسكن؟»

أشار الرجل الأول إلى بيت صغير أبيض نصف متوار بين أشجار النخيل.

شعر بليك بقلبه يخفق بعنف، فقال: «انني زائر إلى هذه البساتين. ولكنني لا أريد البقاء هنا كي لا تسبب المرأة المجنونة الأذى لأولادي اكثر.»

بقي يتحدث معه لحظات ودعهم بعدها، ثم ابتعد متجهاً نحو المنزل الذي أشاروا اليه، متظاهراً بعدم الاهتمام.

تقدم نحو المكان يختلس النظر من الباب المفتوح. لم ير احداً. كما انه لم يكن من احد حول المنزل، فأطل برأسه من الباب.

رأى غرفة مؤثثة بشكل متوسط الرفاهية. وكانت فارغة وقد تدلى في وسطها ستار حريري مخطط لا شك ان خلفه غرفة نوم والتي ربما كانت فيها الكسندرا.

زادت جرأة بليك فدخل إلى المنزل وقد قرر المجازفة إنه يريد ان يزيح الستائر ويلقي نظرة، وقفز قلبه بعنف وهو يرى امرأة على الأريكة ذات شعر اشقر مشعث. عند ذلك أدرك بليك أنه وصل إلى نهاية رحلته. لأن هذه كانت الكسندرا فوربس نفسها.

قال بصوت مبحوح: «الكسندرا، الكسندرا.»

لكن الفتاة التي انتظرت طويلاً، متلهفة إلى سماع صوت انكليزي، لم تتحرك أو حتى تفتح عينيها، فقد أمضت الأربع والعشرين ساعة الأخيرة في حالة تشبه الاغماء. فنقص التغذية والتمريض قد أوهنها، فهي لا تريد الآن سوى ان تنام وتستمر في النوم. كانت متعبة للغاية، لقد انهكها تكرر الرؤى والخيالات التي لا تتحقق. مريضة من وحدتها ويأسها.

سمعت صوت بليك ولكنها لم تره ولم تحاول ان تجيب. إنه لا يخرج من أن يكون حلماً آخر، فهي غالباً ما تسمع صوتاً يناديها باسمها، فتجد ان ذلك لم يكن سوى تخيلات منها. وأثناء جلوسها دون حراك، بهذا الشكل، ذهبت نايلة إلى السوق ولم تعد بعد.

قال مرة أخرى: «الكسندرا يا عزيزتي، استيقظي انظري إليّ... انا بليك.»

لكن اهدابها القاتمة الكثيفة لم ترتفع. شفتاها فقط تحركتا تتمتمان بشيء لم يفهمه. فنظر اليها باهتمام عميق. انها مريضة، مريضة للغاية. فما عليه ان يفعل الآن؟ انه لا يستطيع ان يحملها خارجاً بها من هذا المكان دون ان يراهما أحد. وتملكته حيرة بالغة.

انحنى لينظر إليها وقد جرحه في الصميم مبلغ تغير مظهرها. يا للآلام التي لا بد قد عانتها لكي تصل إلى ما هي عليه الآن، وشعر بأن الذنب ذنبه في ما وصلت اليه حالتها.

بعد لحظة تفكير سريعة، عاد فخرج من المنزل، بينما عادت الفتاة فاستغرقت في النوم.

سار بليك لاغام بسرعة متوجهاً إلى منزل عجوز القرية

طالباً الاجتماع به. وإذ أخبروه انه خارج المنزل، قال: «سأنتظره.»

سأله الخدم: «من أنت لأخبره عنك، يا سيدي؟»

اجاب بليك: «قل له هاذل.»

بعد لحظات، دعوه إلى مقابلة العجوز. فقد كان لاسم هاذل فعل كبير، وتدفقت كلمات الترحيب من فم العجوز الباسم: «لقد شرفتني وشرفت مكاني هذا بزيارتك لي يا هاذل.»

ثم صفق بيديه منادياً: «القهوة والطعام لضيفي.»

قال بليك بحدة: «لا أريد قهوة منك ولا طعاماً قبل أن تعطيني الفتاة الذهبية الشعر التي يدعوها قومك بالمرأة المخبولة ذت العين الشريرة.»

ضاقت عينا الرجل، ثم عادتا تحملقان بدهشة متكلفة: «هل يوجد في قبيلتي هنا مثل هذه المرأة؟»

قال بليك: «انها هناك في المنزل القريب من النخلات الثلاث.» وعقد ذراعيه مسمراً نظراته الثاقبة على العجوز.

عاد يقول: «آه، لا بد انها تلك الفتاة الالمانية التي...»

قال بليك بصبر نافد: «كلا، انها ليست المانية بل انكليزية. وهي مريضة وليست مجنونة.»

فقال الرجل مظهراً الغباء: «انكليزية؟»

«نعم. وقد احضرها إلى هنا ابن شقيقك جاك ابن مايك.»

حنى الرجل رأسه وقد رأى أن لا فائدة من الانكار. فهاذل يعرف كل شيء. فقال بشك: «اذا كانت الفتاة من اقاربك، يا هاذل، فأنا اطلب منك الصفح والمعذرة. ولكنني لم اعرف

ذلك. لقد احضرها إلى هنا كما قلت، جاك ولكنني ظننت من حديثي معه انها المانية وترغب في الزواج منه...»

قاطعه بليك: «انها ليست كذلك. فهي من بلدي وقد ذهبت معه فقط لأنه وافق على اخذها إلى المدينة تحت حمايته، وقد احضرها إلى هنا رغم ارادتها. أين هو جاك الآن؟»

«عند والده.»

قال بليك: «إذن، فهو لم يعد يهتم بها. ولهذا يجب أن تعود حالاً إلى بلدها معي ومع رجالي.»

شعر بشيء من الخوف من ابن شقيقه، ولكن سمعة هاذل كانت عظيمة بين افراد المنطقة فهو شخص يحسب له حساب. هذا إلى ان جاك، كما قال هاذل، لم يعد إلى الفتاة رغم ما تثيره من متاعب بين قومه كما ان زوجته تلحّ عليه، على الدوام، بأن يطردها. لذا قال برقة: «ان ما يطلبه هاذل لا يرد. خذها. انها رغبتي الخالصة.»

شعر بليك الارتياح وانبسطت أسارير وجهه. ليس هناك حاجة لاطلاق النار.

قال: «اسمع يا صديقي. ان الفتاة مريضة حتى الموت. ولا يمكن نقلها الآن.»

قال الرجل بكآبة: «صدقني بأنها كانت موضع عناية جيدة منا.»

فقال بليك: «إن مرضها في عقلها اكثر مما هو في صحتها. وأنا سأعمل على علاجها، ولكنني أطلب ضيافتك لي ولمن معي ليوم أو يومين.»

سر الرجل، لانتهاء الجدل فصفق بيديه ثانياً وهو يقول:

«ستجهز المنازل وستعطى الأوامر لخدمتكم، يا هذيل في الحال.»

انحنى بليك وهو يتمتم شاكراً، ثم تحول عائداً إلى المنزل حيث تقيم الكسندرا.

لم تكن قد تحركت منذ ان تركها، ولكن الخادمة الصغيرة،كانت هناك الآن، تنظر باستغراب إلى ذلك الرجل. فقال لها: «إن سيدتك مريضة جداً. وأنا جئت لأجلها. ما الذي يؤلمها؟»

تأوهت وقالت: «حرارة خفيفة، يا سيدي. ولكن روحها هي المتعبة كما يبدو.»

قال بليك: «هذا ما ظننته انا. اعطيها قهوة ثقيلة. دعيها تأكل جيداً. وسأعود حالاً.»

بدا السرور والابتهاج على وجه الفتاة. فقد أصبحت تحب هذه الأجنبية. فأسرعت تصنع القهوة لأليكسا ثم تهزها لتستيقظ.

ذهب بليك إلى راؤول ورجال. وكان قد صمم، في هذه الأثناء يجب أن يفهم راؤول، فمن الضروري أن لا يعود هذا إلى المدينة ويخبر كل إنسان بما عرف.

لكنه، حالياً، لم يكن لديه ما يقوله لراؤول سوى أن يبلغه بأنها هي نفسها الفتاة التي كانوا يبحثون عنها، وأن العجوز سلمها دون ممانعة. ولكن الفتاة مريضة وعليه أن يمكث معها فترة قبل ان يتمكن من نقلها. وفي هذه الأثناء سيكونون جميعاً ضيوفاً عند عتيبة.

أظهر راؤول شيء من خيبة الأمل فقال بليك: «إننا سنخبرها بأن الفضل في انقاذها عائد إليك، يا راؤول.

والآن، المعذرة يا صديقي فأنا ذاهب اليها. وسألقاك فيما بعد. أرجوك أن تهتم براحة الرجال والجياد. وعلى رئيس الخدم أن يأكل ثم يذهب حالاً إلى المدينة. فالآنسة بحاجة إلى أشياء كثيرة.»

وبعد لحظات، كان قد عاد إلى البيت حيث تقيم الكسندرا.

كانت الآن جالسة في فراشها تستند إلى الوسائد وترشف القهوة التي كانت تقدمها الفتاة اليها. بدت له مثيرة للشفقة لعجزها، وتقدم إلى جانبها ببطء وقال: «يا عزيزتي، يا عزيزتي المسكينة... لقد وجدتك أخيراً...»

بقيت للحظات تحدق إليه غير مصدقة وقد جمدت في مكانها.

عندما دخل بليك إلى الغرفة، نظرت إليه بعدم اكتراث دون أن تهتم له. كان مجرد رجل ... مثل غيره.

ثم سمعته يقول بالانكليزية: «الكسندرا. لا تنظري هكذا، يا عزيزتي. انك ستكونين على ما يرام. لقد جئت لأخذك إلى بيتك.»

لكنها بقيت تنظر إليه ساهمة. كان ذهنها مازال مشوشاً فقد زاد شعورها بالدوار والمرض في الأيام الأخيرة. دون توقف. حاولت ان تركز ذهنها على وجه بليك المألوف، وتدريجياً اخذت تتعرف إلى ذلك الوجه الرزين الأسمر وهاتين العينين الثاقبتين الداكنتين اللتين كانتا الآن تناشدانها الصفح. وقفز قلبها بعنف فمدت يدها إليه بلهفة لتصطدم بفنجان كان في يد الفتاة ما تسبب في اراقة القهوة. وهمست وهي ترتجف: «أنت... أنت...»

تراجعت الفتاة إلى الخلف بهدوء، بينما بليك قال: «يا

عزيزتي... يا طفلتي الحبيبة... يا حمقائي الصغيرة... ما الذي جعلك تهربين مني؟»

اخذت تبكي بعنف: «انك من فعل هذا بي... إنك تركتني في هذه الحال... أنت... أنا أكرهك... أكرهك.»

«هس يا الكسندرا... استمعي إليّ. عزيزتي... عزيزتي... لا تصرخي... كفى... استمعي إليّ.»

لكنها أخذت تضربه بقبضتها على صدره وهي تتابع الصراخ بجنون وتوبخه بخبل دون أن تدرك ما تقول.

«عزيزتي... عزيزتي... إهدإي... لا تثيري أعصابك فهذا يؤذيك. الكسندرا... يا حلوتي المسكينة، إهدإي.» فأخذت تتأوه وهي تشهق باكية.

ابتدأت تهدأ الآن، بينما مضى يقول: «عزيزتي، حاولي ان تهدإي ولا تكرهيني. سأشرح لك كل شيء، يوماً ما. وستصفحين عني، يا الكسندرا.»

كانت قد هدأت الآن وهمست بشيء كان على بليك أن يقترب برأسه منها كي يسمعها تقول: «أنا... لن أصفح... عنك أبداً.»

قال: «بل ستصفحين... ستصفحين يا عزيزتي.»

فقالت: «أبداً...» ثم أضافت تقول بصوت مثير للشفقة: «خذني إلى بيتي... أرجوك...»

نظر إليها بحدة وهو يهزها قليلاً: «الكسندرا... عزيزتي... استيقظي يجب أن لا تنامي مرة أخرى... أرجوك... تمالكي نفسك.»

لكن لم يصدر عنها اي جواب. لقد عادت إلى تلك الغيبوبة التي وجدها فيها، فاستدار إلى الفتاة يخاطبها.

«اكثري من اعطائها القهوة واعطيها طعاماً خفيفاً... خبزاً مغموساً بالحليب. يجب أن تطعميها بالملعقة يجب أن تأكل وإلا فستموت. هل سمعت؟»

قالت الفتاة: «سأفعل ما تقول، يا سيدي.»

خرج بليك إلى حيث أشعة الشمس. كانت قد ازدادت الحرارة، وفي طريقه إلى حيث ينتظره راؤول، كان يبدو عليه القلق الشديد.

وجد بليك الضابط الشاب يتناول ومن معه وجبة طعام فاخرة. ذلك ان سيد القرية قد اصدر أمره بأن يلقى ضيوفه معاملة الأمراء، خصوصاً وقد عادت العلاقات الطيبة بينه وبين زوجته بعد أن طمأنها بأن هؤلاء الرجال قد جاؤوا ليأخذوا الفتاة الاجنبية الذهبية الشعر التي كان جاك قد تركها هنا والتي كان وجودها مصدر ازعاج لها طوال الشهر الماضي.

نظر راؤول إلى بليك متسائلاً: «هل الآنسة بخير؟»

أجاب بليك باقتضاب: «كلا. إنها مريضة، ان استعادتها لقوتها يستلزم أسبوعاً. هل رحل رئيس الخدم؟»

«نعم. منذ عشر دقائق.»

«هذا حسن.»

قال الضابط: «وماذا يمكنني أن أقوم به لأجلك الآن، يا سيدي.»

فكر بليك لحظة، ثم وضع يده على كتف الضابط: «راؤول. أريد أن أطلب منك خدمة أخرى. إنك جئت معي إلى هنا تفضلاً منك. ولا يمكنني أن اوفيك حقك من الشكر لذلك. وقد أصبح من غير الضروري أن تضيع

بقية اجازتك معنا هنا في الصحراء. أريدك ان تعود إلى المدينة وتقوم لأجلي بخدمة أخرى.»

«بكل تأكيد يا سيدي.»

فقال بليك: «من الضروري جداً أن يبقى وجود الآنسة هنا سرياً للغاية. إنه سر سنحتفظ به، نحن الاثنين، معاً إلى أن يأتي الوقت المناسب فنتحدث عنه عند ذلك بحرية.»

نظر إليه راؤول بذهول وعاد بليك يقول: «إنني أعرف أن هذا الأمر يبدو غير عادي بالنسبة إليك. ولكنني اطمئنك إلى أن ثمة غير عادي وراء ذلك. وسأحدثك بكل شيء في وقته، أما الآن فلا يمكنني.»

«ولكنك كنت قلت يا سيدي ان المدينة كلها تبحث عنها، والشرطة...»

قاطعه بليك: «الشرطة على الأخص، يجب أن لا تعلم انها هنا. أو انني سأعيدها إلى المدينة قريباً.»

بدا على راؤول الارتباك: «لا أستطيع أن افهم.»

«طبعاً لا. كل ما يمكنني هو أن أعطيك كلمتي بأن الآنسة هي عزيزة جداً عليّ وأنها ستحصل على رعايتي التامة. ولكن إذا أخذت السلطة تحقق في الأمر فسيضر ذلك بمصلحة بلادي.»

توقف راؤول عن محاولة الفهم، وهز كتفيه: «إنني مشوش الذهن يا سيدي. ما علاقة انكلترا بهذه القضية؟»

ابتسم بليك بوجه متجهم وقال: «هذه هي الحقيقة رغم ما تبدو عليه من سخافة. وحيث أن مصلحة بلادي تمسّك وتمسّ بلادك... فأنا أطلب منك أن تثق بي. وأن لا تخبر أحداً بهذا الأمر. وآمل أنني والآنسة، سنأتي لزيارتك

قريباً... وذلك في ظروف أكثر سعادة وأقل تعقيداً من هذه. هل ستعطيني كلمتك، يا رؤول؟»

هزّ الفتى كتفيه مرة أخرى، ثم ابتسم: «حسناً، أعدك بذلك. إن ثقتي بك كاملة وكذلك احترامي واعجابي ببلادك.»

«أشكرك يا راؤول...»

بدا على بليك الارتياح، ومد يده إلى راؤول فشد هذا عليها مصافحاً. وأدرك بليك أن راؤول لن يخلف وعده. كما أن اختفاء الكسندرا يجب أن يبقى حالياً غامضاً بالنسبة إلى الجميع. وبعد أن يعود بها إلى بيتها، آملاً من كل قلبه أن تستعيد صحتها لتتحمل مشاق الطريق، سيكون مايك قد وفى بعهده وقام بزيارته المدعوة له.

فارقه راؤول متبعاً نفس الطريق الذي سلكاه يرافقه أحد خدم هاذل، ثم أرسل بليك خادماً آخر إلى قرية مايك مع رسالة محملة بأحسن عبارات التحية والمجاملة وفيها يخبره بان هاذل قد مر بالصدفة بقرية شقيقه وهناك وجد السيدة الانكليزية التي كان جاك قد وعد بأن يأخذها إلى المدينة. وأن السيدة المذكورة قد تلقت معاملة طيبة جداً أثناء إقامتها المؤقتة في ضيافة اهل القرية. ولكن بما أنه لم يكن هناك ذكر لعودة جاك إلى عمه، وأن السيدة كانت متلهفة للعودة إلى أهلها، فقد أخذها هاذل وسيعود إلى منزله في خلال اسبوع وسيكون سعيداً جداً بأن يعلم ما إذا كان مايك سيشرفه بزيارته المدعوة في أقرب وقت.

عندما انطلق الخادم شعر بليك بشيء من الارتياح. كان واثقاً من أن بإمكانه الوثوق بكلمة الشرف من راؤول.

عندما عاد إلى الكسندرا، رأى تحسناً غير متوقع في

حالتها، ما تحسنت معه حالته النفسية بشكل ملحوظ.

كانت الفتاة قد أيقظتها من غيبوبتها مرة أخرى حيث أخذت تطعمها بالمعلقة الخبز المحمص المنقوع في حليب.

بادرته دون مقدمات: «هل ستأخذني إلى بلدي؟»

«حالما تستعيدين قواك، يا الكسندرا.»

قالت دون أن تنظر إليه: «أريد أن أذهب الآن... حالاً.»

قال برقة: «كلا يا عزيزتي. لن يكون ذلك قبل عدة أيام. فحالتك ضعيفة بشكل مخيف.»

قالت: «سأسترد قوتي بسرعة الآن. أريد أن أذهب إلى بلدي.»

«طبعاً ستذهبين.»

قالت: «كيف عرفت أنني هنا؟»

حدثها، وقد سره أن يراها بحالة هادئة، عن راؤول دوشار ورفاقه الذين كانوا تاهوا في الصحراء إلى أن وجدوا أخيراً هذا المكان. وكيف أن راؤول سمعها تصرخ وتتكلم بالفرنسية. وكيف أن الصدفة جمعته به في الفندق فحدثه بهذه القصة.

«يا لحسن الحظ.»

«إنني آسف للمعاناة الطويلة التي مررت بها. ولكنني آمل وأعتقد أن جاك لم...» وسكت وقد تشوّش ذهنه.

قالت: «أرادني جاك أن أتزوجه... لقد أخلف وعده لي حين كنت معك... فقد وعدني بأن يأخذني إلى المدينة مباشرة... ثم تركني هنا...»

فقال بليك: «أعلم هذا. فأنا واثق من انك ستنسين كل ذلك في مدة قصيرة وتعودين كما كنت.»

نظرت إليه باتهام: «لن أنسى أبداً ما فعلته معي... أبداً.»

حوّل عنها عينيه اللتين كانتا تنظران إليها بحنان، ثم قال بصوت خافت: «الكسندرا، أقسم بأنك عندما تعلمين السبب الذي جعلني...»

قاطعته: «لا يمكن أن يكون لديك أي سبب معقول.»

«اتوسل إليك، أن تستعيدي قواك، ولكنني أعود فأؤكد لك بأنك ستصفحين عني بعد أن تعلمي الحقيقة.»

قالت بخشونة: «أما زال الغموض يكتنفك؟ حسناً، إنك على حق تماماً. يجب ان استعيد قواي ولهذا لن أزعج نفسي. لا يهمني أي شيء في الحقيقة سوى العودة إلى منزلي. منذ متى أنا هنا؟ منذ متى رأيتني لآخر مرة.»

«منذ شهر تقريباً.»

«إنه أطول شهر في حياتي. لقد كان مخيفاً.»

«أكره أن اسمع هذا منك، يا الكسندرا.»

«حسناً، لا تكلف نفسك عناء القول بأن الذنب في ذلك ذنبي لأنني هربت منك. إنني أعلم هذا. ولكنانت السبب الأول.»

قال بجفاء: «أعلم هذا.»

«شهر... ماذا سيظنه أهلي إذ لا يسمعون مني خبراً. وأصدقائي في القاهرة..؟ كان عليّ الآن أن اكون في مكتبي هناك... جوان وكلهم لا بد انهم يظنونني ميتة.»

«إنهم جميعاً يبحثون عنك، يا الكسندرا، وبينهم شقيقك.»

هنا استدارت اليه بسرعة وقد تألقت عيناها بالحنان واللهفة ما مس شعوره: «دايفيد؟ وأين هو دايفيد؟»

«إنه حالياً في الاسكندرية. فقد عيّن هناك. وقد جاء هنا

ليراك. وقد حدث أن ذهبت لزيارة اللايدي ويرل فرأيته هناك. وهو للأسف، قلق جداً.»

حملقت فيه وقالت: «آه، أنت لم تخبره.»

«كلا.»

فعادت تهتف قائلة: «إنك فظيع. يا لدايفيد المسكين...» وتهدج صوتها وتدفقت دموع القهر من عينيها.

كان هذا أكثر مما يستطيع بليك تحمله، كان بإمكانه أن يشرح لها الأمر كله ولكنه لم يجرؤ. لأنه لم يعرف كيف ستتلقى ذلك، وإذا هي فضحت الأمر الآن، في آخر لحظة فقد تشيع القصة وتفسد خطته قبل أن يوقع مايك على تلك المستندات.

سار نحو الباب ففتحه وأخذ يحدق في الصحراء التي تبدو من خلال النخيل الأخضر، ثم قال: «لا بد أنني أبدو فظيعاً في نظرك. لكنني ما زلت لا أستطيع أن أقدم لك ايضاحاً بعد. وأظن أن لا جدوى من أن أطلب منك أن تصدقيني.»

مسحت دموعها وأطلقت ضحكة قصيرة أخرى: «اصدقك؟ أبداً. إن ما فعلته لا يغتفر.»

فقال: «حسناً جداً. فلندع الأمر عند هذا الحد.»

«ولكن هل ستأخذني إلى بلدي؟»

«سآخذك حالياً إلى منزلي، يا الكسندرا.»

قالت: «أما زلت تريد أن تبعدني عن أسرتي؟»

أجاب: «عليّ أن أفعل ذلك. ولكنني أعدك بأن يكون ذلك ليوم واحد أو يومين فقط...»

ثم استدار يواجهها. وهو يقول بحرارة: «لا تضغطي عليّ

أكثر من ذلك، أرجوك. فأنا لا أخرج عن كوني انسان، ثم انني واقع في غرامك ولكن عليّ أن أؤدي واجبي الذي كلفت به، ولكن ما أشعر به نحوك يجب أن لا يدخل بيني وبين ما اعتبره واجباً.» ثم استدار خارجاً من الغرفة.

نظرت في أثره بحيرة بالغة.

بليك لاغام يحبها، لقد قال إنه يحبها، ولكن حتى ذلك الحب لن يسمح له بأن يدخل بينه وبين واجبه. ما الذي يعني بقوله ما يعتبره واجباً، إن هذا لا يبدو حديث رجل يشعر بالخجل من عمل يقوم به.

لكنه قال هذا، لا بد أنه يحبها فقد أظهر بهجة لا توصف لعثوره عليها. وقد تحمل عناء كل ذلك السفر لكي يحضر لانقاذها رغم هربها منه. لابد أنه يحبها ولو قليلاً.

الفصل الثاني عشر

عندما استيقظت أليكسا مرة أخرى، كان الوقت عصراً، وكانت تشعر بتحسن كبير في قواها وانتعاش في ذهنها.

جلست شاعرة بقدرة على تناول وجبة كاملة، دجاجة صغيرة مسلوقة، وفاكهة.وكان هذا أفضل طعام ذاقته أليكسا منذ رحيل جاك، واكتشفت فجأة أنها كانت جائعة.

جاء بليك لرؤيتها أثناء تناولها الطعام، فكان سروره لا يوصف وهو يرى لونها قد تحسن كثيراً وان ما أحدث هذا التحسن في الفتاة هو الراحة، وأيضاً الاستقرار النفسي الذي بعثه حضوره إليها.

فقال بلطف: «إنني مسرور إذ أراك استعدت شهيتك.»

لأول مرة تنظر إليه دون خوف أو كراهية. ثم قالت بصوت خافت: «إنني أحسن بكثير، أشكرك.»

فقال: «اذا استمر بك الأمر بهذا الشكل، فلن تحتاجي إلى أكثر من يوم أو يومين لاسترداد قوتك، وهكذا يمكننا أن نبكر في الرحيل.»

أومأت: «نعم. إنني واثقة من أنني سأتمكن من السفر قريباً جداً.»

«أتريدين شيئاً آخر... فاكهة أو غير ذلك؟» وكان يحدق في طبقها تجنباً بذلك نظراتها.

«كلا، فقد أكلت اليوم أكثر مما أكلت في مدة أسابيع.»

«إنني آسف حقاً لما مر بك من معاناة.»

فقالت بشيء من الصعوبة: «لا بأس... الآن.»

شعرت بارتباك عميق، وهي تتذكر كلماته الأخيرة، فأضافت: «أرجوك أن تخبرني عن شقيقي... كيف كان يبدو؟ ما هي أخبار أهلي؟هل تذكر؟»

وأخذ يحدثها بما يعلم. واستمعت هي بشوق، لقد كان رائعاً أن تسمع أخباراً عن شقيقها. وانه في مصر وستراه قريباً، ثم ما أجمل أن تتمكن من التحدث مرة أخرى، أن تسمع صوتاً انكليزياً يتحدث إليها، ونسيت فجأة كراهيتها لهذا الرجل وشكوكها والعداوة التي بينهما، نسيت كل ذلك وهي تندفع بالقول: «إنك لا تدري كيف كان شعوري وأنا لا أجد أحداً أتحدث إليه... لقد كدت أجن. ما أجمل أن أعرف أنني بخير... وإنك عثرت عليّ.»

فقال بحرارة: «استطيع أن أفهم صعوبة ذلك بالنسبة إليك، فاصفحي عني يا الكسندرا. ولكنني حذرتك من محاولة الهرب مني، يا عزيزتي...»

«أعرف ذلك... ولكن...»

«ولكنك لم تثقي بي، لقد فضلت أن تثقي بجاك.»

«كل شيء حدث بشكل غامض... لا أستطيع أن أفهمه...»

«ستفهمينه... يوماً ما...»

هزت رأسها ببلادة، بينما تحول هو مغادراً الغرفة.

ثم تملكها الارهاق، فأغمضت عينيها وقد انهكها التفكير والمشاعر، فاستسلمت إلى النوم مرة أخرى.

كانت ما تزال نائمة عندما بزغ الفجر زاحفاً إلى منزلها الصغير. ولكن بليك لاغام كان مستيقظاً وقد ارتدى ثيابه وأخذ يتمشى بقلق خارج ذلك المنزل، وعيناه تراقبان

الصحراء، كان في انتظار عودة خادمه والذي سيكون هنا في أي لحظة ومعه جواب مايك.

وكان لا يفتأ نظرة بعد أخرى على باب ذلك المنزل محاولاً أن يتصور الفتاة التي ترقد في داخله بسلام، كان يعلم أنها لم تفهمه، ولكن يوماً ما سيطلب منها أن تدعه يمضي بقية حياته مخففاً عن كل هذا وذلك بإسعادها بصفتها زوجته. لقد قرر أنه إذا لم يتزوج الكسندرا، فهو لن يتزوج مطلقاً، وفجأة انصرفت أفكاره عن الفتاة إلى ذلك العمل العزيز عليه، العمل الذي يتوقف عليه شرفه، ذلك العمل الذي يشعر نحوه من الاعزاز حتى أكثر مما يشعر به نحو الكسندرا.

ذلك أن رجلاً كان يتقدم بسرعة نحو أرض القرية، لقد كان خادم هاذل، ثم تقدم نحو بليك.

قال بليك بصبر فارغ: «تكلم، ما أخبارك؟»

«ليس لدي أخبار يا سيدي، خلف لم يكن هناك.»

«ليس هناك؟ أتعني أنك لم تره؟»

«كلا، رأيت فقط ابنه.»

«وماذا قال لك جاك؟»

«قال ان ابلغ سلامه إلى هاذل واعتذاره إلى المرأة الانكليزية التي لم يستطع أخذها إلى المدينة شخصياً لأنه ينفذ رغبة والده وذلك بعقد زواجه على ابنة...»

قال بليك بحدة: «كفى... لا يهمني زواج جاك، ماذا عن والده؟ تكلم يا رجل.»

«لقد غادر قبل وصولي بساعة أو ساعتين فقط يا سيدي.»

فسأله بليك: «غادر إلى أين؟»

«إلى منزل هاذل في رحلة عمل، لقد علمت هذا من بعض الرجال في السوق، يا سيدي.»

تألق الفوز في عينيه، هذا كل ما كان يريده، أن مايك قد شرع في رحلته أمس...

كان من الضروري أن يكون هو بليك هناك لكي يستقبل ضيفه وهذا يستدعي أن تسمح صحة الكسندرا لها بالسفر، فهل هذا ممكن؟

عندما أشرقت الشمس واغتسلت أليكسا جاء بليك لرؤيتها.

قال: «اسمعي يا الكسندرا من الضروري جداً أن أذهب إلى منزلي غداً... ان المسافة من هنا إلى المدينة تستغرق اثنتا عشرة ساعة، هل ستكونين قادرة على السفر غداً الفجر؟ ان هذا يقلقني يا عزيزة لأنني أعلم أن ليس عليك السفر الآن، ولكن يجب علي ذلك... ولا أريد أن أتركك هنا.»

بدت في عينيها نظرة خوف: «آه كلا... أرجوك... أرجوك، لا تتركني...»

«ولكن اذا لم يكن بمقدورك...»

«بل بمقدوري... لقد تحسنت كثيراً... وغداً سأكون أحسن كثيراً... فقط خذني معك... لا أستطيع احتمال البقاء هنا...»

نظر إلى ذلك الوجه المتوهج، شاعراً بأنه وغد جبان... مرة أخرى يقدم عمله على الفتاة التي يحب... ولكن عليه أن يؤدي واجبه.

فقال: «حسناً يا الكسندرا، سآخذك معي...

حين أزف وقت الرحيل، عاد رئيس الخدم بالجمل وثياب الكسندرا لم يعد ثمة حاجة إلى الدواء الآن بعد أن تحسنت حالة الكسندرا مع الراحة والغذاء والراحة النفسية، وعندما وضعها بليك في الهودج على ظهر الجمل كانت بالغة الحيوية، ولكنها اعترفت بشعورها بالضعف وهي تضحك، فقد كانت تغادر هذا المكان آملة بألا تعود إليه مرة أخرى.

لقد أخبرها بليك الليلة الماضية، ولسبب لا تعرفه، بأنها إذا سارت الأمور كما يتوقع، فقد تتمكن من الاتصال بدايفيد في نهاية هذا الاسبوع، واليوم هو الاربعاء، لقد عادت إلى العالم الطبيعي وحياتها المعتادة.

لقد جاء الرجل العجوز بنفسه ليودعها ولكنها لم تنظر إلى الرجل العجوز ذاك،أو إلى الجمع الفضولي الذي أحدق بهم ليشاهدوا رحيل هذه الأجنبية التي تصيب بالحسد.

نظرت إلى الصحراء المنبسطة ومن ثم إلى الأفق، وأخذ قلبها يخفق بسرعة وغبطة، إنها ذاهبة إلى الوطن.

لم تكن أليكسا واعية تماماً أثناء الرحلة، فقد كانت تنام أغلب الوقت، ثم تستيقظ أحياناً لتجد بليك يسقيها ماءً بارداً أو يمسح وجهها بمنديله.

توقفوا لتناول الطعام وسقي الحيوانات، وبعد الغداء حمل بليك أليكسا على النوم للراحة تحت شجرة نخيل.

فقالت: «إنك... لن تتركني هنا... أليس كذلك؟» وطعنه هذا السؤال المؤثر في الصميم. فابتسم لها قائلاً: «ولا لحظة يا الكسندرا، لن أتركك أبداً بعد الآن إذا كنت لا تريدين ذلك.»

وصلا عند برودة العصر إلى منزل هاذل السري وأقبلت

روزي لاستقبالهما وقالت بسعادة: «آه يا سيدتي... كيف حالك... كم تبدو مريضة... وكم هي نحيلة...»

كانت تهتف بذلك وهي تدور بحيرة وصخب وقد نطقت عيناها الكبيرتان بالذعر إزاء هزال الفتاة وسقمها والتي كان هاذل يحملها بنفسه من الفناء إلى غرفتها، ولكن أليكسا أومأت إليها بيدها لكي تبتعد: «اهدإي يا روزي... اهدأي... فأنا بخير بخير تام.»

وضعها بليك على أريكة، فنظرت أليكسا حولها في تلك الغرفة الرائعة الجمال بأثاثها الشرقي ومن النوافذ الواسعة إلى الحديقة التي تموج بالأزهار. وإلى الكتب والمجلات على المنضدة، إلى أمتعتها الخاصة على الأرض، وبدا لها وكأنها عادت حقاً إلى بيتها واغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول لبليك: «شكراً... لاعادتي... أظنني... لا أستحق ذلك... بعد أن كنت من الغباء بحيث هربت منك...»

لم يكن ينتظر منها مثل هذه المودة أو الشهامة في تحميل نفسها الذنب كله فتأثر جداً وقال: «ليس عليك أن تشكريني لأي شيء يا عزيزتي. إنما عليك بالصبر معي وذلك لفترة قصيرة، إنني اضحي بكل شيء لكي أحضر لك شقيقك الآن، ولكن...»

فقاطعته قائلة: «لا تهتم بذلك... أظنني ابتدأت أفهم أن ما تقوم به هو مهم جداً...»

وقال: «يا عزيزتي، يا عزيزتي، آه لو تعلمين...»

فقاطعته هامسة: «بليك... بليك.»

أدركت أنها تحبه، وهي الآن لم تعد تهتم من كان منهما على صواب ومن كان على خطأ.

لكنهما لم يكونا وحدهما كما كانا يتصوران ذلك أن رجلاً كان يراقبهما من النافذة. كان ذا ملامح قبيحة قاسية وفي يده سكين.

كانت نظرات أليكسا هي التي وقعت عليه أولاً والسكين في يده. سرعان ما تحول ذهنها إلى الرعب الهائل والخوف عليه.

صرخت بصوت حاد: «بليك... حذار...»

قفز الرجل وفي اللحظات التالية شحن الجو بالفوضى بحيث أن أليكسا لم تكد تعلم ما يحدث فضعفها الجسدي منعها من فعل ما تريد وهو أن تلقي بنفسها على بليك لتحميه من السكين، ودارت الغرفة حولها وسمعت صوتها يصرخ مرة أخرى: «بليك... بليك.»

لم يكن لدى بليك لاغام الوقت الكافي للدفاع عن نفسه، فقد وثب الرجل من النافذة إلى الأريكة، فانزلق بليك منها وتدحرج الرجلان على الأرض، بينما تصاعد صوت بليك منادياً رجاله بصوت خشن.

هذا بينما كانت أليكسا تجاهد للتخلص من نوبة الإغماء التي هاجمتها، أخذت تصرخ مرة أخرى.

اندفع الخدم وتوقف الصراع، ثم قبض على المهاجم وشد وثاقه. وقف وهو يلهث مكشراً عن أنيابه وهو ينظر إلى بليك، إلى هاذل الذي كان ممدداً صامتاً بشكل غريب والسكين مغروزة في كتفه والدم يسيل ببطء على ملابسه الناصعة البياض.

كان رئيس الخدم في وجه السفاك هازاً قبضته في وجهه. وامتلأت الغرفة بالاصوات، بينما جاءت روزي

راكضة وقد بدا الرعب على وجهها واندفعت إلى سيدتها وهي تصرخ: «ماذا حدث؟»

أصدر رئيس الخدم أمراً إلى أحد رجاله فاحضر هذا حبلاً أوثق به يدي السفاك خلف ظهره ثم جره خارجاً به من غرفة أليكسا، وهو يرفسه أثناء ذلك بينما انحنى رئيس الخدم نحو هاذل وهو يقول: «يجب أن نحضر طبيباً يا روزي...»

لكن بليك سمع ذلك الأمر وهو يحاول العودة إلى وعيه. فحاول أن يجلس ووجهه يتلوى من الألم ثم شهق قائلاً: «كلا، كلا... يجب أن لا يحضر طبيب إلى هنا... يجب أن لا يأتي... أحد إلى هنا... إلا بعد أن يحضر مايك هل... فهمت؟»

تأوه الخادم المخلص قائلاً: «ولكن يا سيدي... انك جريح.»

نظر بليك إلى جرحه وقال: «انزع السكين... احضر خرقاً... وأوقف النزيف، الجرح سطحي، لم يستطع ذلك الرجل ان يعمق الطعنة فقد أمسكت يده... ليس ثمة خطر علي... فافعل ما اقوله لك، ولكن خذني إلى غرفتي أولاً.»

كانت أليكسا في هذه الأثناء قد تحسنت حالتها، فجلست شاعرة بالدوار والغثيان، ونظرت إلى بليك الطريح أرضاً وهي تضغط رأسها بيديها: «بليك... بليك... هل أنت بخير؟»

أجاب وهو يتنفس بصعوبة: «نعم... بخير. إنه جرح غير مهم... فلا تقلقي.»

«يجب... أن أساعدك.»

«كلا. صحتك لا تساعدك على ذلك. ابقي حيث أنت... وفيما بعد... يجب أن أتحدث إليك.»

قالت بصوت مختنق: «بليك... أنا... أنا أحبك.»

انفرجت أسارير وجهه بينما بدا الألم في عينيه، ثم ألقى عليها نظرة سريعة: «يا عزيزتي ألكسندرا.» ثم عاد وأغمض عينيه.

جاهدت أليكسا لتقف على قدميها، ثم نادت: «روزي... روزي... اسألي عما إذا كان بخير...»

فحص رئيس الخدم بليك ثم قال لأليكسا: «سيكون السيد بخير، لقد أغمي عليه بسبب الصدمة ونقص الدم من أثر النزيف.»

نقل الخدم سيدهم برفق إلى سريره، بينما سقطت أليكسا إلى الخلف على وسائدها وقد أغضبها ضعفها، والدموع تنهمر من عينيها، ولكن قلبها كان يشعر بالارتياح. ان بليك سيشفى وهذا هو المهم.

لكن لم يصبح كل شيء على ما يرام، ففي تلك الليلة ساد التوتر جو منزل هاذل، كانت وجوه الخدم يسودها القلق، وكانت أليكسا تستعلم من روزي عما يجري في جناح بليك.

عندما سحبوا السكين من الجرح ازداد النزيف، وحاول رئيس الخدم جهده لمعالجة جرحه،ولكن معلوماته في الاسعافات الأولية كانت محدودة، ومع هبوط الليل تملكت الحمى بليك. وعندما توسل إليه رئيس الخدم بأن يطلب طبيباً، رفض بعناد. وهكذا ذهب من تلقاء نفسه للبحث عن امرأة عجوز تعيش في كوخ يبعد ميلين، وكانت معروفة بمهارتها في العلاج بالاعشاب.

عادت المرأة معه فغسلت جرح بليك ثم وضعت لصقة من

الاعشاب على الكتف وإذا بالنزيف يتوقف بشكل مفاجيء كما توقف ألم الجرح، وتبدد بعض التوتر من جو المنزل ولكن بقي القلق.

استلقت أليكسا طوال النهار بهدوء، تناولت الطعام والعلاج المقوي، ولكن عندما هبط الظلام أصرت على النهوض، ثم سارت إلى غرفة بليك متكئة على ذراع روزي.

رأت بليك بأمان في سريره. وغلام يمسح وجهه بالماء البارد.

أجلست روزي سيدتها على كرسي بجانب بليك فرفع جفنيه الثقيلين لينظر إليها فهمس: «الكسندرا.»

آه، يا بليك هل أنت أحسن حالاً؟»

«أحسن بكثير، فتلك المرأة العجوز لا تختلف عن أي طبيب في شارع هارلي في لندن...» وحاول أن يبتسم لها: «وأنت؟ ما كان عليك أن تنهضي من سريرك يا عزيزتي.»

«لقد تحسنت كثيراً، لقد عدت لطبيعتي تقريباً، كان عليّ أن آتي لرؤيتك.»

قال بجهد: «ما زالت حالتي سيئة... وغداً سيكون مايك هنا.»

«هذا لا يهم، صحتك هي الأهم.»

اطلق ضحكة قصيرة: «إنك لا تعرفين تماماً مبلغ أهمية ذلك، عليّ أن أتعامل مع مايك.»

«ولكن عليك أن لا تغادر سريرك، فإذا أنت حركت كتفك مرة أخرى فسيعود النزيف، فالراحة هي العلاج الوحيد، وقد أخبرت المرأة العجوز روزيبذلك، فأرجوك يا عزيزي أن لا تتحرك.»

«هل يهمك هذا كثيراً؟ ألم تعودي تكرهينني، يا الكسندرا؟»

أجابت بخجل: «إنك تعلم...»

فهمس يقول: «لماذا أحبك إلى هذا الحد، يا عزيزة؟»

هزت رأسها بينما أضاف يقول: «ألا تشككين بي؟»

فقالت بصوت مختنق: «كلا.»

«هذا جميل، يا عزيزتي، انني مسرور ان حدث الأمر بهذا الشكل... قبل أن تعرفي الحقيقة، أريدك أن تثقي بي، متبعة في ذلك مشاعرك فقط.»

فقالت: «أخبرني بما عليّ أن أفعل يا بليك، وسأفعله، سأقابل مايك وسأنهي العمل معه، لأجلك.»

«لن تستطيعي ذلك...»

فهتفت: «إذا أنت حركت كتفك ذاك فستصاب بنزيف آخر... لا تفعل ذلك... أرجوك.»

قال: «إنك لم تفهمي بعد أنني يجب أن...»

لكن الغرفة كانت تدور حوله، وتملكه الخوف من أن لا يكون في كامل وعيه عندما يحضر مايك، وبالتالي قد يعود ذلك الرجل إلى بيته دون أن يوقع.

ستكون النهاية الفاشلة بعد أن يكون الفوز على مرمى البصر، وسيكون ذلك أكثر مما يستطيع احتماله. ماذا بإمكانه أن يفعل حينذاك؟

سمع صوت أليكسا الناعم المتوسل: «بليك عزيزي، ثق بي، اقسم على أن لا أكشف أمرك، أقسم على ذلك، إنني سأحفظ سرك مهما كانت طبيعته، ثق بي فقط... ودعني أساعدك ولا تعرض نفسك للخطر.»

استلقى محاولاً أن يقاوم الضباب الذي يدور حوله، حركة واحدة وإذا بذلك الجرح ينزف من جديد، حسناً سيجازف بذلك ولكن إذا ارهقته هذه الحرارة فلن يكون في وسعه أن يفكر أو أن يقوم بشيء ليس هناك سوى حل واحد، وهو أن يثق بهذه الفتاة الآن. يجب عليه أن يخبرها بالحقيقة وقبل حضور مايك.

تمالك نفسه وقال: «حسناً، سأثق بك... يا الكسندرا، انظري في تلك الخزانة... مفتاحها في جيب ثوبي الابيض المعلق هنا... صندوق يحتوي على أوراق رسمية. افتحيه وستجدين أوراقاً... مستندات بشأن حقول نفط. هناك معاملات خاصة بين أصحابها والحكومة البريطانية وهي تحمل اثني عشر توقيعاً الآن. وخلف هو آخر من نريد توقيعه... وذلك لاكمال العمل هذا. فإذا لم استطع استجماع قواي الذهنية غداً، يجب عليك أن تعطيها له ليوقعها... وعندما ينتهي التوقيع، أعطي مايك تلك الورقة الزرقاء... وهي الوثيقة الانكليزية بالمبلغ الموعود به، هل فهمت؟ هل الأمر واضح لك؟»

أومأت برأسها، لم تستطع أن تتكلم حالياً، هذا العمل... الذي يمنح بريطانيا امتياز الحصول على آبار النفط. اذن فقد كان بليك المشهور بهاذل، يعمل لأجل مصلحة بلاده. لم يكن خائناً يا لها من حمقاء مجنونة إذ ظنته ذا وجهين. نظر بليك إليها وهو يرى وجهها المنزعج وقال: «آسف يا عزيزتي اذ لم أخبرك من قبل... خفت أن تكشفي الأمر... لقد اقسمت... للحكومة، وفيما بعد سأشرح لك المزيد... عن هذا المنزل... والخاتم الأزرق... وكل شيء...»

قالت عند ذلك: «بليك أصفح عني... أصفح عني... أرجوك.»

وإذا بتمتمات وكلمات غير مفهومة تنطلق من بين شفتيه، فارتجفت وأخذت تصرخ تنادي روزي: «فلتحضر المرأة العجوز... احضروا المرأة العجوز...»

حضرت المرأة، وأعطت بليك جرعة من دواء الاعشاب، وقالت لأليكسا أنها واثقة من أن السيد سترتفع حرارته هذه الليلة... وقد يصحب ذلك شيء من الألم... ولكن ليس ثمة خطر على حياته.

فقالت الكسندرا: «لا يمكنني الاحتمال أكثر من ذلك.» ثم انهالت الدموع على وجنتيها وهي تجلس بجانب بليك. كاد يدمرها شعورها بالخطأ الذي وقعت فيه وذلك بعدم وضع ثقتها في بليك منذ وقت طويل. إنها ستقوم غداً بالعمل لأجله... ستصلح من حماقتها العمياء بأي شكل كان، عندما يحضر مايك ستنهي ذلك العمل لأجل بليك.

لكن بليك لاغام لم يعد يسمعها أو يراها الآن. إنه لم يعد في وعيه. وهكذا بقي طوال الليل يئن ويتقلب في هذيانه. وقد جلست بجانبه ثلاث نساء يراقبنه هن أليكسا وروزي والمرأة العجوز، وذلك إلى ان بزغ الفجر، عند ذلك توقف بليك عن الهذيان، واستسلم للنوم.

الفصل الثالث عشر

كانت السيدة ويرل ترتشف فنجان شاي الصباح في غرفة نومها عندما دخل الخادم يعلن أن شخصاً أحضر رسالة خاصة لسيادتها.

وتناولت المرأة قطعة ورق أخذت تنظر إليها وهي تطرف بعينيها، ثم قالت لزوجها: «من تراه أرسل إلي هذه، يا عزيزي؟ وفي مثل هذه الساعة؟ هل لك أن تقرأها لأجلي؟ فأنا لا أعرف اين وضعت نظاراتي... هيا، استيقظ من نومك.»

أخذ منها الرسالة، وصفّر متعجباً. فنظرت إليه زوجته ووضعت الفنجان على المنضدة: «ماذا فيها يا عزيزي.»

فقال: «إنها من صديقتك، الكسندرا فوربس.»

فصرخت السيدة: «اليكسا... اليكسافوربس، أين هي يا بيرسي؟ ماذا حدث؟»

«لا أدري. اسمعي...»

بدا الحماس على وجه السيدة ويرل، إنهم ومنذ اسابيع، يحاولون اقتفاء أثر ابنة صديقتها غريس فوربس، وذلك بالاشتراك مع الشرطة ودايفيد. لم يستطع أحد أن يكتشف سر غيابها.

الآن، بعد أن تملك اليأس الجميع من ان يروا أو يسمعوا خبراً عن تلك الفتاة، إذا بهذه الرسالة المختصرة تصل وتقول الكسندرا فيها: «عزيزتي السيدة بيرل.

سأشرح لك كل شيء عندما تحضرين. ولكنني أرجوك ان تحضري معك طبيباً ماهراً وتأتي بالسيارة حالاً إلى المنزل الذي سيقودكم إليه حامل هذه الرسالة والمنزل لا يبعد سوى أميال قليلة عن المدينة.

إنني بأتم خير، فلا تقلقي... ولكن حضور الطبيب ضروري جداً. أسرعي من فضلك.

الكسندرا فوربس.

قفزت السيدة ويرل من فراشها.

«يجب أن أرتدي ثيابي حالاً. بيرسي، أرسل بطلب السائق لاحضار السيارة... يجب أن تأتي أنت أيضاً.»

اعاد السيد بيرسي قراءة الرسالة: «منزل... ويبعد أميالاً قليلة عن المدينة ما معنى هذا.. ومع من كانت الفتاة؟»

«أنا لا افهم شيئاً، ولكن الرسالة مستعجلة، ولا بد أن ثمة أحداً، إذا لم يكن الكسندرا نفسها، مريضاً جداً. اتصل بالدكتور ويلسون كولي يا بيرسي، وهو سيمسك لسانه إذا نحن طلبنا منه ذلك.»

«وهل من المفروض أن يمسك لسانه في رأيك؟»

كانت زوجته ترتدي ملابسها بسرعة فقالت له: «لا أدري. ولكن البهجة تتملكني، فالصغيرة بخير. فكر بما سيعنيه ذلك لوالديها ولشقيقها المسكين. أسرع يا بيرسي، أسرع...»

بعد ذلك كانت السيدة وزوجها والدكتور في السيارة الفخمة في الطريق العام وقد جلس الرجل الذي احضر الرسالة بجانب السائق. لاحظت السيدة كيف انعطفت السيارة بعد اجتيازها عدة أميال، إلى خلف الغابة الكثيفة لتسير في طريق ضيق.

تشبثت بذراع زوجها: «إلى أين نحن ذاهبون؟»

«لا أدري.»

لكنهم سرعان ما فوجئوا عندما وصلوا إلى أرض مكشوفة قام فيها منزل بدا فيه فناء رائع نافورة مياه وأشجار كثيرة وذلك من خلال بوابة حديدية.

هتفت السيدة ويرل: «إذن، فهذا هو المكان الذي كانت اليكسا تختفي فيه كل تلك الأسابيع. ما معنى هذا؟ طبعاً لا يمكن أن تكون من الحماقة بحيث كانت تمضي وقتاً مسلياً هنا مع رجل ما... لو كنت فكرت بأن...»

ولكن أفكارها لم تستمر. إذ ظهر فجأة من الباب الكسندرا ترتدي ثوباً قطنياً بدت فيه في غاية الهزال والمرض، كما وصفتها السيدة ويرل فيما بعد.

خرج السيد ويرل وزوجته من السيارة. وابتدأت السيدة تقول بلهجة اللوم: «يا عزيزتي...» ولكن اليكسا اسكتتها قائلة وهي تلهث: «الطبيب... أين الطبيب.»

تقدم الطبيب نحوها يعرّف بنفسه: «إنني الدكتور كولي.»

قالت أليكسا: «حسناً... تفضل من هنا... حالاً أرجوك..»

ثم استدارت نحو السيدة معتذرة: «سأشرح كل شيء بعد لحظة. إنه... إنه مريض جداً. إن حرارته عالية جداً. وأظن هذا بسبب جرحه.»

سألها الزوجان بصوت واحد: «أيّ جرح؟ ومن هو المريض؟»

عند ذلك ألقت اليكسا الخبر، وقالت بصوت منخفض: «إنه بليك لاغام.»

مرة أخرى، قال الزوجان بصوت واحد: «بليك لاغام.»

فأجابت: «نعم. تعال بسرعة يا دكتور، من فضلك لقد حاولوا اغتياله منذ يومين وأظن أن السكين مسمّة. انه لم يحصل سوى على علاج بدائي.»

تبعها الطبيب إلى حيث تواريا خلف ستائر مخططة. ونظرت السيدة ويرل حولها في تلك الغرفة المترفة. وكذلك زوجها، ثم جلست على كرسي وقالت: «يا لها من صدمة مذهلة... بليك لاغام... ولكننا رأيناه منذ عدة أيام. ربما لم يكن يعلم مكانها في ذلك الحين. فقد كان يساعدنا في البحث عنها. ماذا يعني هذا كله، يا بيرسي؟»

اجاب السيد: «ليس لدي أي فكرة يا عزيزتي. المسألة غامضة جداً. ثم ما الذي يقوم به ذلك الشاب؟ أريد أن أعلم.»

قالت زوجته بحزم: «وأنا أيضاً أريد ان اعلم الكثير.»

لكنها لم تعرف شيئاً قبل مضي ساعة. وخلال تلك الساعة كانت على أحر من الجمر، إذ ان اليكسا بقيت مع الطبيب في غرفة بليك في حالة من القلق البالغ وهي تراقبه فاحصا جرح الكتف أولاً... ثم صحته بوجه عام. وأخيراً استدار إلى اليكسا ليقول ما خفف من قلقها: «ليس الأمر سيئاً. وأظن الحق معك في ما يتعلق بالسم، فالجرح ملتهب، ولكنه ليس خطراً. وهو ضعيف وحرارته مرتفعة نوعاً ما. لكنه سيشفى بسرعة. سأضع له الآن ضماداً موقتاً ثم نرسل إليه سيارة اسعاف لتنقله من هنا حالاً. وكلما أسرعنا بنقله إلى المستشفى، كان ذلك أفضل.»

جذبت أليكسا نفساً عميقاً، ثم جلست متثاقلة وكأن ساقيها لم تعودا تقويان على حملها.

ألقى عليها الطبيب نظرة سريعة متفحصة: «انك انت ايضاً مريضة، أليس كذلك؟»

حاولت الابتسام: «إنني... إنني مرهقة فقط... ليس بي أي شيء.»

جاء صوت بليك الضعيف: «الكسندرا.»

وعلى الفور كانت بجانب بليك: «نعم يا عزيزي. إنني هنا.»

«هل الأوراق بأمان معك؟»

«نعم يا عزيزي. إنها في صندوقك المقفل. السيد بيرسي هنا، مع زوجته والطبيب. هل أسلّم الصندوق للسيد بيرسي؟»

«نعم. أخبريه... انها... مستندات في غاية الأهمية والسرية... وليحتفظ بها لأجلي... إلى أن اتمكن من... شرح الأمر له.»

«نعم، يا عزيزي.»

القى عليها نظرة حافلة بالحب: «لقد كنت رائعة... أشكرك..»

فقالت: «لن أتمكن أبداً من التعبير عن مدى أسفي.»

«ولكنني.. سببت لك الأذى، يا حلوتي، أنا أيضاً. فقد عانيت الكثير في الصحراء. والآن، ما الذي ستخبرين به آل ويرل؟»

«سأخبرهم أن بعض الاشرار اختطفوني وأنت انقذتني. وأنك تلقيت هذه الطعنة عقوبه لك منهم لهذا السبب.»

«كم أنت رائعة يا عزيزتي. ألا تريدين أن تخبريهم أنني انا من اختطفك أولاً؟»

فقالت بحزم وقد توهج وجهها: «كلا. إن هذا سيجر إلى تحقيقات واسعة ويسبب كثيراً من الأقاويل.»

فكرر قوله: «كم أنت رائعة.»

جاء الدكتور كولي، والذي كان هذه الأثناء مستغرقاً في أخذ بعض الأشياء من حقيبته والتي كانت على منضدة في آخر الغرفة، فتركتهما أليكسا معاً ثم غادرت الغرفة.

عند ذلك فقط، ظفرت السيدة ماري ببعض المعلومات التي كانت تنتظرها. لقد جلست اليكسا بين الزوجين، وأخذت تدلي بقصتها. وكانت السيدة ماري لا تفتأ تقاطعها بين وقت وآخر: «آه، يا صغيرتي المسكينة... ثم ما أغرب أن يعثر عليك بليك... وذلك الضابط الفرنسي... كم ندين له... آه، كم كانت مخيفة معاناتك تلك... شهر كامل وحيدة ليس ثمة من تتكلمين معه... يا للعزيزة المسكينة.»

فقالت اليكسا: «كان وقتاً صعباً حقاً.»

لم تستطع أن تخبر آل ويرل بالحقيقة كاملة. فالأمر بالغ التعقيد. كانت سعيدة بعد أن علمت من الطبيب بأن حالة بليك لا تدعو إلى القلق. ولمعرفتها بأنها اعتذرت أمس لبليك لاهانتها له بظنها السوء فيه، رغم أنه لم يعتب عليها لذلك. فقد أخبرها بأنه معجب بها إذ تصرفت بالشكل الذي تظنه صواباً، رغم مشاعرها نحوه. لقد كان الأمر كله عبارة عن غلطة. ولكنها غلطة يمكن تصحيحها. وقد استجمعت ما بقي لديها من قوة، لكي تتمكن من الترحيب بمايك وقد طلبت من رئيس الخدم أن يقيم له وليمة. وفيما بعد، بسطت المستندات أمامه واعطته القلم لكي يوقع، وبعد ذلك سلمته شيكاً بالمبلغ المتفق عليه.

تناول المبلغ مسروراً وهو يظهر أسفه لمرض هاذل، ثم غادر المكان. وبناء على رغبة مشتركة، لم يأتيا على سيرة جاك والمصير الشائن الذي تركها له.

لم تكثر السيدة ويرل عليها بالأسئلة وهي تراها مرهقة وغير قادرة على المزيد من الكلام. فقد اكتفت بما قدمته إليها.

تناول السيد بيرسي صندوق الأوراق الرسمية. انه سيضعه في خزينته إلى أن يعود بليك فيطلبه منه.

شعرت اليكسا بعد ذلك بالارتياح. وعاد الدكتور كولي في سيارة السيد بيرسي، ثم عاد بسيارة الاسعاف لنقل بليك. وأثناء عودتهما جميعاً، جلست اليكسا بين الزوجين واخذت تنظر إلى الخلف إلى منزل هاذل، وإلى روزي التي كانت تقف باكية وهي تلوّح بيدها إلى اليكسا، وإلى الخادم المخلص، ولم تستطع وصف مشاعرها. ولكنها سمعت صوت ماري تقول: «لمن هذا المنزل؟ وكيف احضرك بليك إلى هنا؟ ولماذا لم يحضرك إلينا مباشرة؟»

تمتمت اليكسا: «إنه منزل صديق لبليك، وحيث انني لم استطع متابعة السير، لضعف قواي... فقد جاء بي إلى هنا...»

نظرت السيدة ويرل إلى وجه الفتاة ثم سألتها: «انك معجبة كثيراً ببليك لاغام، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

اجابت اليكسا، وقد حولت عينيها إلى سيارة الاسعاف التي كانت تسير ببطء امامهم: «بل أحبه يا سيدة ويرل، وأظنه أروع رجل في العالم.»

* * *

بعد ذلك بشهر، كانت السيارة تنطلق ببطء نحو المطار الكبير حيث كانت طائرة جاهزة للطيران. تنتظر شخصاً أو اثنين من ذوي الأهمية كانا سيسافران إلى القاهرة ومنها إلى البرتغال.

في تلك السيارة، كان بليك لاغام، والذي كان قد تعافى تماماً من جرحه، يبدو أنيقاً ببذلته الرمادية وقد وضع في عروة سترته زهرة قرنفل، كان يجلس بجانب فتاة هيفاء ذهبية الشعر.

كان بليك والكسندرا قد تزوجا هذا الصباح. وقد بدت أليكسا كما كانت تشعر تماماً، اسعد فتاة في العالم.

اعتنت بها السيدة ويرل إلى أن استعادت حيويتها السابقة تماماً. لقد كانت ماري ويرل في منتهى الحنان نحوها. وفي الاسبوع الاخير من نقاهتها، كانت سعادتها قد اكملت بخروج بليك من المستشفى، خصوصاً بمجيء شقيقها دايفيد في إجازة. وكان لقائهما مليئاً بسعادة تفوق الوصف.

كان دايفيد قد هتف لدى رؤيته بليك: «لا يمكنني أبداً أن اعبر عن شكري. ووالداي يريدان مني أيضاً ان اشكرك لاعادتك اليكسا إلينا.»

تقابلت نظرات بليك بنظرات اليكسا الماكرة والتي كانت تتحداه أن يقول الحقيقة. عند ذلك قال: «حسناً، يا دايفيد. أرجو ان يكافئني والداك على ذلك بالطريقة القديمة، وهي ان يقبلاني صهراً لهما.»

لقد تلقى رسالة شكر شخصية من وزارة الخارجية، تقول بأنه عندما يعود إلى لندن ستقدم إليه وظيفة جديدة مرموقة.

وكذلك اليكسا، بصفتها اصبحت الآن السيدة بليك لاغام، لم تجد صعوبة في الاستقالة من عملها في القاهرة، كما تلقت إذناً خاصاً لتسافر إلى الوطن مع زوجها.

عندما اقتربت بهما السيارة من المطار، نظر بليك في عيني زوجته. كانت تبدو له دوماً مخلوقة ظريفة فاتنة، ولكنها اليوم بعد ان اصبحت زوجته، كانت تبدو جميلة للغاية.

في يدها اليسرى، تألقت زمردة جميلة بجانب خاتم الزواج. وحملت على يدها معطفها القديم. ولكن بليك كان قد وعدها بأنه، حين يصلان إلى لندن، سيشتري لها معطفاً من الفراء.

نظر اليها باسماً وسألها: «كيف حال زوجتي؟»

«عظيمة، وكيف حال زوجي؟»

«سعيد للغاية. إنني أحب الحياة الزوجية، يا الكسندرا. وأنا اتطلع شوقاً لمقابلة والديك.»

فضحكت قائلة: «إن والدي، بسيطان جداً، يا بليك. ولكنني واثقة من انك ستحبهما.»

«اذا كانا مثلك فسأحبهما دون شك. وسأكون شاكراً لهما على الدوام لأنهما أنجبا لي الكسندرا.»

«يا عزيزي، الحيرة ما زالت تمتلكني. لماذا اخترتني بالذات... انا الفتاة العادية.»

فقاطعها: «لقد اخبرتك مرات عديدة بأنك فتاة غير عادية... هذا إلى أننا عانينا الكثير معاً. اننا قريبان جداً من بعضنا البعض، يا حلوتي... فقد اشتركنا في سر لا يعلمه أحد سوى رئيسي المباشر.»

تنهدت قائلة: «لشد ما أنا فخورة بك، يا بليك.»

«يا حلوتي المسكينة... كنت سيئاً معك، احياناً.»

«إنني افهم الآن أنه كان عليك ذلك. فقد كنت أنا أيضاً سيئة معك.»

«ولكن معاملتنا لبعضنا البعض ستكون، من الآن فصاعداً، في غاية الكياسة.»

أخذا ينظران إلى الصحراء الممتدة على الجانبين، وما لبث بليك أن قال: «سأحب الصحراء وسكانها على الدوام يا الكسندرا. لقد كانوا اشقائي، وبصفتي هاذل احترموني جداً. ويوماً ما أريدك أن تعودي معي إلى هنا لنستمتع معاً. وذلك بعد أن تنسي الماضي التعس.»

فقالت: «لقد نسيته الآن فعلاً، يا عزيزي. وأنا أيضاً سأحترم هاذل على الدوام.»

«هذا أحد أجمل الأشياء التي قلتها لي، يا الكسندرا.»

وكانا الآن قد دخلا المطار، فنظرت إليه بعينين متألقتين، ثم قالت: «إنها أول رحلة لي بالطائرة منذ سنة، يا بليك.»

«ولن تكون الأخيرة أبداً. فأنا اقوم بأسفار عديدة في البلاد كما يقتضي عملي. وأرجو أن ترافقينني أحياناً.

قد استلم عملاً في لندن لفترة. وستكون فرصة سارة أن أمضي بعض الوقت مع زوجتي قبل أن ارسل إلى اطراف الدنيا مرة أخرى.»

«آه يا حبيبي، سأكره أن تفارقني ولو لحظة واحدة.»

«لا تفكري في الفراق الآن، يا حلوتي. فنحن لم نتزوج إلا منذ ساعات.»

كانت مليئة بالسعادة وهي تدخل الطائرة التي ستنقلها وعريسها إلى البرتغال.

كانت بهجتها لحظة الوصول إلى الوطن في بيكنهام بعد غياب أشهر طويلة لا توصف وهي ترى أرض بلادها، مسرح صباها مرة أخرى.

بدالها، وهي تتوجه مع بليك نحو باب منزلها الأمامي، ان تلك الاسابيع في الصحراء لم تكن سوى تخيلات.

قالت له: «آه، يا عزيزي... إنني أرتجف.»

فسألها: «ولماذا، يا حبيبتي؟»

«إنه توتر أعصاب لعودتي مرة أخرى إلى بيتنا... آه، يا بليك.. كم أحب أسرتي.»

شعر بالرقة البالغة نحوها وهو يرى الشوق في وجهها. كان يعلم جيداً أن في شخصيتها ناحية عملية، ولكن وراء ذلك يكمن احساس مرهف، إلى براءة حبيبة، لشد ما يحبها.

انفتح امامهما الباب على مصراعيه، واندفع منه فتاتان صغيرتان والبهجة تبدو عليهما: «اليكسا... اليكسا...»

واغرورقت عينا اليكسا بالدموع وهي تبادل الصغيرتين القبلات. ثم نظرت إلى بليك: «هاتان شقيقتاي التوأمان، يا عزيزي.»

مد بليك يديه الاثنتين: «ما أجملهما...»

ثم ظهرت الأم غريس فوربس.

ضمت الفتاة بين ذراعيها وهي تقول بصوت متهدج: «يا حبيبتي اليكسا...»

«يا حبيبتي يا والدتي... ما أجمل العودة إلى البيت.»

انهمرت من عينيها دموع الفرح وهي تعانق والدتها،

ومن فوق كتفها، لمحت الأم الشاب الطويل الأنيق. لقد افتتنت على الفور بهذا الشخص غير العادي، كما تالت لزوجها فيما بعد، الوجه الأسمر، الشعور بالأمان وهو يشد على يدها مصافحاً، إنه رجل ممكن الوثوق به بقدر ما هو وسيم.

«أهلاً بكما، وتهنئتي الخالصة لكما.»

نظر بليك لاغام إلى المرأة التي رأى فيها لأول وهلة، نسخة مكبرة عن الكسندرا. حلوة رقيقة مثل ابنتها وقد تكون اقل حزماً وحيوية وقال لحماته: «لشدّ ما تمنيت والدة... ولكنك أصغر من أن تكوني والدة لي. ولذا عليّ أن اعتبرك شقيقة.»

فضحك الجميع. وعانقت الطفلتان والدتهما وهما تقولان لها: «ألم نخبرك بأنك رائعة يا والدتي...؟»

ثم جاء الوالد من العيادة وهو يخلع معطف العمل الأبيض بعد ان انتهى من آخر مريض، كانت الساعة تقارب السادسة. وكان قد سمع صوت مجيء سيارة الأجرة ولمح ابنته الغالية وزوجها يتجهان إلى المنزل.

مد يده إلى بليك مصافحاً، وهو مثل زوجته، شعر بالقبول لهذا الشاب على الفور.

هتفت اليكسا بابتهاج: «والدي...» ثم ركضت تلقي بنفسها بين ذراعيه.

قال بليك: «أرجو منك المعذرة لاستعجال الكسندرا في عقد الزواج ، يا سيدي. ولكنني اعدك بأن اعتني بها.»

فقال السيد فوربس: «إنني واثق من ذلك.»

قال السيد فوربس وهما يصعدان السلم: «ربما تبغيان

أنتما الاثنين، ان تسويا من شأنكما، وبعد ذلك نتحدث قليلاً قبل العشاء.»

فقال بليك: «هذا حسن.»

كما ان المنزل بدا له حسناً، هو أيضاً. فهو بسيط، قديم الطراز، ربما لا يحتوي على أي شيء عصري، ولكنه حسن متماسك... فهو المنزل الانكليزي الضروري لتكوين أسرة انكليزية ممتازة متماسكة.

أمسكت اليكسا ذراعه وقادته إلى غرفة الجلوس. وهي تقول: «قبل أن نصعد إلى غرفتنا، هناك شيء أريدك أن تراه.. شيء اعتدت في طفولتي ان انظر إليه في أغلب الأوقات.»

وقفا معاً امام لوحة مرسومة لمنظر صحراء. وشعرت أليسكا بقلبها يخفق وهي تنظر إلى هذه الصورة المألوفة. وبدا لها من غير المعقول انها تقف الآن لتنظر إليها معه، مع زوجها، وتتذكر كل ما كان يفعله في الصحراء.

أشار بليك، برزانة، إلى صورة صغيرة لشاب في ثياب بيضاء: «هل المفروض أن هذا أنا؟»

فضحكت بتوتر: «هذا ممكن... وهذا ما اعتدت دوماً أن انظر إليه، متمنية أن أرى... مشهداً واقعياً كهذا.»

«يا عزيزتي، لا تبدإي بالارتجاف مرة أخرى ولا تكدري نفسك بالنظر إلى هذه الصورة.»

قالت وهي تلتفت إليه: «يجب... الأفضل أن انظر اليك... كما انت الآن... أليس من الغريب أن هاذل مازال يخيفني؟»

«لم يكن به حاجة إلى ذلك، يا عزيزتي، ومع مرور الزمن سيكفّ عن ذلك. مشاعرك هذه نفسية نتيجة معاناتك تلك.»

«اعرف أنني سأنسى هذا كله. ولكنني احب بليك... وكوني هنا الآن...» واشارت بيدها حولها... «في بيت الغالي.»

«انني متفهم لهذا، يا عزيزتي. انا أيضاً مسرور لوجود هنا معك، أيضاً...»

صرخت التوأمان من الممر: «أليكسا، لقد صعد بأمتعتك إلى غرفتك.»

اقبلت الأم تحمل صينية القهوة: «والآن، اسرعا.»

فابتسم بليك واليكسا لبعضهما البعض، وه يتحولان عن صورة الصحراء، ثم صعدا إلى غرفته

تمت

www.romancia.com